قسم العقيدة والفلسفة

ويشتمل على التالي:

١ - حوار المسيح عيسى عليه السلام مع المرأة السامرية

دلالات وبشارات ومقارنات

د/ محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي

حِوارُ المسيحِ عيسى عليه السلام مع المرأةِ السامريةِ

دلالاتٌ وبشاراتٌ ومقارناتٌ

د . محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي

أستاذ مشارك في تخصّص العقيدة ومقارنة الأديان

قسم أصول الدين - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك – إربد – الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحِوارُ والمُحاوَرَةُ: المُجاوَبَةُ، والتَّحاوُرُ: التَّجاوُبُ؛ وهُمْ يَتَحاوَرُونَ: أيْ يَتَراجَعُونَ الكَلامَ في المُخاطَبَةِ[1].

ولِلْحِوارِ في عِلْمِ مُقارَنةِ الأديانِ أهمّيّةٌ كُبْرى مِنْ حيثُ إنه طريقُ الوصولِ إلى معْرِفَةِ الحقِّ، خاصّةً فيما يتعلّقُ بمسائلِ العقيدةِ التي هي مَدَارُ نجاةِ الإنسانِ أوْ هلاكِه، فكما تَرْتَبِطُ النجاةُ بصِحَّتِها، فالهلاكُ ببُطْلانِها.

وقدْ أَوْرَدَ القرآنُ الكريمُ حِواراتٍ كثيرةً وقعتْ بيْنَ الأنبياءِ وأقوامِهِمْ، ليسَ في هذا البحْثِ مجالُها، ولكنْ أقول: إنّ وُرُودَ هذه الحِواراتِ في القرآنِ الكريمِ دليلٌ على مشروعِيَّتِها، وسَلامَةِ منْهجِها، ولقد أفادَ منها العلماءُ المسلمونَ في حِواراتِهمْ ومناقَشاتِهمْ أصحابَ الدياناتِ والمِلَلِ السائدةِ، فكانَ لها دَوْرٌ عظيمٌ في تعريفِ الناسِ بالدِّينِ الحقِّ، وبخاصّة أنّ كثيرينَ مِنَ الباحِثِينَ عن الحقِّ يُحِبُّون الأسلوبَ الحِواريَّ، ويطْمَئِنُّونَ لِنتائِجِه.

وقدْ وردَ حِوارُ المسيحِ عليه السلام مع المرأةِ السامريةِ في الفصولِ ٨١ و٨٢ و٨٣ من إنجيلِ بَرْنابا، ووردَ هذا الحِوارُ نفْسُه في الإصحاحِ الرابعِ من إنجيلِ يوحنّا، وبما أنّ نصوصَ هذا الحِوارِ تتضمّنُ دلالاتٍ أخلاقيةً ودَعويّةً وعقديّةً، وبشاراتٍ مستقبَلِيّةً، فوجَبَ إبرازُها، وبما أنه يوجدُ اتِّفاقٌ واختلافٌ في بعضِ مواضعِ النَّصِّ؛ فلا بُدّ إذاً من المقارنةِ بيْن نصِّ الحِوارِ في الإنجيلَيْن، تمشّياً مع الهدفِ الرئيسي لعِلْمِ مقارنةِ الأديانِ، وهو إظهارُ الحقِّ فيما اختلفَ الناسُ فيه، وخِدْمةُ العقيدةِ الإسلاميةِ.

وبما أنّني لمْ أَجِدْ أَحداً قَبْلي تعرّضَ لموضوعاتِ هذا الحِوارِ بإبْرازِها وبيانِ ما يُستفادُ منهاً؛ قمتُ بتتبُّعِ نُصوصِ الحوارِ فاستخرجتُ منها خمسَ دلالاتٍ، وثلاثَ بشاراتٍ، ولمّا جئتُ إلى الدراسةِ المقارنةِ بيْن نُصُوصِ الحِوارِ في الإنجيلَيْن، وجدتُ بينهما في مسائل العقيدةِ نقطةَ اتفاقٍ، ونقطةَ اختلافٍ، وأربعَ نقاطٍ أَثْبَتَها بَرْنابا وحَذَفَها كاتبُ الإنجيلِ الرابعِ المسمّى: إنجيل يُوحَنّا، وكلُّها تَظْهَرُ من خلالِ هذا البحثِ الذي جاءَ في ثلاثةِ مطالب كما يلي:

المطلبُ الأولُ: الدِّلالاتُ المُستفادَةُ مِنْ حِوارِ المَسِيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ حسَبَ نَصِّ إنْجِيلِ بَرْنابا.

المطلبُ الثاني: البِشاراتُ المُستفادَةُ مِنْ حِوارِ المَسِيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ حسَبَ نَصِّ إنْجِيلِ بَرْنابا.

المطلبُ الثالثُ: المُقَارَنةُ بيْنَ إنْجِيلَيْ بَرْنابا ويُوحَنّا في نَصِّ حِوارِ المَسِيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ.

ثمّ جاءت الخاتمةُ لأدوّن فيها النتائجَ والتوصيات، وأسألُ اللهَ تعالى التوْفِيقَ فيه.

وصلَّى الله وسلَّمَ على النّبِيِّ الأُمِّيِّ محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين. وآخرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

المطلبُ الأولُ: الدِّلالاتُ المُستفادَةُ مِنْ حوارِ المَسيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ حسَبَ نَصِّ إنْجيلِ بَرْنابا

الدلالة الأولى: تواضعُ عيسى عليه السلام للمرأةِ السّامِرِيّةِ، واستعمالُه في دعْوتِه أسلوبَ الترغيبِ والتشويقِ:

جاءَ في الفَصْلِ ٨١ النَّصُّ التّالي: «٨ فَجَلَسَ بِجَانِبِ البِئْرِ علَى حَجَرِ البِئْرِ وإذا بامْرَأةٍ مِنَ السّامِرَةِ قَدْ جَاءَتْ إلى البِئْرِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً ٩ فَقَالَ يَسُوعُ لِلْمَرْأَةِ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ ١٠ فَأَجَابَتْ المَرْأَةُ: أَلاَ تَخْجَلْ وأَنْتَ عِبْرَانِيٌّ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي شُرْبَةَ مَاءٍ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيّةٌ؟ ١١ أَجَابَ يَسُوعُ: أَيَّتُهَا المَرْأَةُ، لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْكِ شَرْبَةً لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ شَرْبَةً ١٢ أَجَابَتْ الْمَرْأَةُ: وكَيْفَ تُعْطِينِي لأَشْرَبَ وَلاَ إِنَاءَ وَلاَ حَبْلَ مَعَكَ لِتَجْذِبَ بِهِ المَاءَ والبِئْرُ عَمِيقَةٌ؟ ١٣ أَجَابَ يَسُوعُ: أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ هذَا الْبِئْرِ يُعَاوِدُهُ العَطَشُ أمّا مَنْ يَشْرَبُ مِنَ المَاءِ الذي أُعْطِيهِ فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدَاً بَلْ يُعْطِي العِطَاشَ لِيَشْرَبُوا بِحَيْثُ يَصِلُونَ إِلَى الحَيَاةِ الأَبَدِيّةِ».

فبيّنتْ هذه الدلالةُ الأُولى أخلاقَ المسيحِ عليه السلام، فقد كانَ متواضعاً لكلِّ الناسِ، وحريصاً على جَذْبِهم لدعوته، وطبائعُ الناسِ تَنْفُرُ منَ المتكبِّرِ، وظهرتْ أخلاقُه جليّةً في تواضُعِه عليه السلام لهذهِ المرأةِ السّامريةِ وعدمِ احتقارِها، إذْ إنه لمّا عطِشَ مالَ إلى البئْرِ ليشْرَبَ، ولمْ يتردّدْ أنْ يطلبَ منها أنْ تسقيَهُ، وهذا التواضُعُ دالٌّ على عدَمِ تأثّرِه بالأفكارِ العنصريةِ ضدَّ السّامريّينَ المنتسبينَ إلى منطقةِ السّامرةِ، الواقعةِ في وسطِ فلسطينَ بيْن منطقةِ اليهوديةِ جنوباً والجليلِ شمالاً.

عَدَمُ تأثُّرِ المسيحِ عليه السلام بنظْرةِ اليهودِ العبرانيّينَ لليهودِ السّامريّين:

مدينةُ السّامرةِ تقعُ على بُعْدِ تسعةِ كيلومتراتٍ شمال غرب مدينةِ شكيمَ نابلسَ، وتسمّى الآن: سَبَسْطِيَة، وكانتْ عاصمةَ الأسباطِ العشَرةِ في مملكةِ إسرائيلَ الشماليةِ، وقدْ حصلَ فيها الارتدادُ عن الدينِ والشريعةِ الموسويةِ بعد موتِ

سليمانَ عليه السلام مباشرةً، فلمّا تولّى عَرْشَها المَلِكُ أَخْآبُ بَنى هيكلاً للإلهِ بَعْلٍ، فقد جاءَ في سِفْرِ الملوكِ الأولِ١٦:

«[٣٠]وَعَمِلَ أَخْآبُ بْنُ عُمْرِي الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ قَبْلَهُ. [٣١]وَكَأَنَّهُ كَانَ أَمْرًا زَهِيدًا سُلُوكُهُ فِي خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ، حَتَّى اتَّخَذَ إِيزَابَلَ ابْنَةَ أَثْبَعَلَ مَلِكِ الصِّيدُونِيِّينَ امْرَأَةً، وَعَبَدَ الْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ. [٣٢]وَأَقَامَ مَذْبَحًا لِلْبَعْلِ فِي بَيْتِ الْبَعْلِ الَّذِي بَنَاهُ فِي السَّامِرَةِ. [٣٣]وَعَمِلَ أَخْآبُ سَوَارِيَ، وَزَادَ أَخْآبُ فِي الْعَمَلِ لإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ»(٢).

فسلّطَ اللهُ تعالى على المملكةِ الشماليةِ المَلِكَ الوثنيَّ سرجونَ الآشوريَّ سنةَ ٧٢٢ق.م، ففتكَ بهم، وأَسْكنَ بلادَهم وثنيّينَ آشوريّينَ وبابليّينَ، فاختلطوا باليهودِ فيها بالزواج، وازدادتْ الوثنيةُ في أنْسالِهم، ففي سفر الملوك الثاني١٧:

«[٢٩]فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ، كُلُّ أُمَّةٍ فِي مُدُنِهَا الَّتِي سَكَنَتْ فِيهَا».

فنظر اليهودُ العبرانيونَ إلى يهودِ السّامرةِ نظرةَ احتقارٍ، لا لأنّهم ارْتدّوا عن دينِ موسى عليه السلام وشريعته، فإنّ اليهودَ العبرانيّينَ أيضاً ارتدّوا أكثرَ من السّامريّينَ، ولكنْ لأنّ نَسْلهم اختلطَ بالأُممِ الغريبةِ، ثمّ استحْكمَ هذا العداءُ بين طائفتيْ اليهودِ العبرانيّينَ والسّامريّينَ لدرجةِ أنّ العبرانيَّ لا يَنْطقُ بكلمةِ سامريّ حتى لا تتنجّسَ شَفَتاهُ، ويَعُدُّونَ طعامَ السامريِّ نجساً كَلَحْمِ الخنزيرِ(٣).

إنّ المسيحَ عليه السلام العِبْرانيَّ لمْ يعاملْ هذه المرأةَ السّامريّةَ بنظرةِ اليهودِ العبرانيّينَ، وهي العُنْصُريّةُ ضدَّ جميعِ الأجناسِ البَشَريّةِ الذين لمْ يُتَحْ لهم أنْ يكونوا من الشَّعبِ المختارِ، بلْ طَلَبَ منها آنيَتَها ليَشْرَبَ منْها الماءَ: «١٠ فَأَجَابَتْ الْمَرْأَةُ: أَلاَ تَخْجَلُ وأَنْتَ عِبْرَانِيٌّ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي شُرْبَةَ مَاءٍ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟».

والتواضعُ في هذه الأيامِ مطلوبٌ من الدُّعاةِ إلى اللهِ تعالى، سواء كانوا أئمةً في المساجدِ ووعّاظاً وخطباءَ، أمْ كانوا مُدرِّسينَ في المَدارسِ والجامعاتِ، أمْ كانوا

متفرّغين للدعوةِ، فإنّ نظرةَ الاستعلاءِ والتكبّرِ تُنَفِّرُ المدعُوَّ ذَكَراً وأُنثى، كبيراً وصغيراً، وإنّ سيرةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ مليئةٌ بالأمثلةِ والشواهد على تواضُعِه للمدْعُوِّينَ ورحمتِه بهمْ.

استعمالُ المسيحِ عليه السلام في دعوتِه أُسلوبَ الترغيبِ والتشويقِ:

إنّ المسيحَ عليه السلام لمْ يَكْتفِ بعدمِ الاحتقارِ، بل استعملَ أسلوبَ الترغيبِ والتشويقِ لِيَشُدَّ انتباهَ المرأةِ لدعْوتِه وبشاراتِه التي أُمرَ بتبليغِها، فاليهودُ السّامريّون داخلونَ ضِمْنَ نطاقِ دعوتِه وبشاراتِه، وليس الرجالُ أحقَّ ولا أَوْلى بتبليغهم من النساء، فالنبيُّ مأمورٌ بتبليغِ أُمّتِه ذكوراً وإناثاً، وربما تَسْتَجيبُ النساءُ قبْلَ الرجالِ، وتاريخُ الرسالاتِ شاهدٌ بذلك، ولقدْ وصَفَ المسيحُ عليه السلام دينَ اللهِ تعالى الذي جاءَ به بماءِ الحياةِ الأبديةِ إذْ قال للمرأة: «١٣ أَجَابَ يَسُوعُ: أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ هذَا الْبِئْرِ يُعَاوِدُهُ العَطَشُ أَمّا مَنْ يَشْرَبُ مِنَ المَاءِ الذي أُعْطِيهِ فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدَاً بَلْ يُعْطِي العِطَاشَ لِيَشْرَبُوا بِحَيْثُ يَصِلُونَ إِلَى الحَيَاةِ الأَبَدِيّة».

وهذا حقٌّ وصِدْقٌ، لقوله تعالى في سورةِ الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾، ولقوله سبحانه في سورة الفجر عن الإنسانِ يومَ القيامة: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾.

لقد نجحَ هذا الأسلوبُ الترغيبيُّ في شحْذِ اهتمامِها وإعمالِ عقْلِها لتَعْرِفَ نُبُوّتَه قبْلَ تصريحِه بها، على ما يأتي في الدلالةِ الثانية، ويَغْفُلُ كثيرٌ من الدّعاةِ في هذه الأيامِ عن هذا الأسلوبِ الترغيبيِّ، علْماً أنّ القرآنَ الكريمَ وصَفَ الأنبياءَ باستعمالِه في دعْوتِهم أقوامَهم، وحثَّ على استعمالِه، فكثيرٌ من النفوسِ يكون الوعْدُ والترغيبُ أَدعَى لاستجابتِها منَ الوعيدِ والتهديدِ.

<u>الدلالة الثانية:</u> تصريحُ المرأةِ السامريةِ بنُبُوَّةِ عيسى عليه السلام، وسكوتُه في موضعِ الحاجةِ إلى البيانِ إقرارٌ للمسكوتِ عنه:

جاءَ في الفَصْلِ ٨١ النَّصُّ التّالِي: «١٤ فقالت المرأةُ: يا سيّدُ، أَعطِني منْ مائِكَ هذا ١٥ أَجَابَ يَسُوعُ: اذْهَبي وادْعِي زوجَكِ وإيّاكما أُعْطِي لتَشْرَبا ١٦ قالت المرأةُ: ليس لي زوْجٌ ١٧ أَجَابَ يَسُوعُ: حسَناً، قلتِ الحقَّ؛ لأنه كان لكِ خمسةُ أزواجٍ، والذي معَكِ الآنَ ليس هو زوجَكِ ١٨ فلمّا سمِعت المرأةُ هذا اضطربتْ، وقالتْ: يا سيّدُ، أَرى بهذا أنّكَ نَبِيٌّ».

وجاءَ في الفَصْلِ ٨٣ النَّصُّ التّالِي: «١٨ لأنّ المرأةَ لمّا دَخلت المدينةَ أثارت المدينةَ بأسْرِها قائلةً: أيّها القوْمُ، تَعَالَوْا وانظُروا نبيّاً جديداً مُرْسَلاً من الله إلى بيْتِ إسرائيلَ ١٩ وقصّتْ عليهم كلَّ ما سمِعتْ مِنْ يَسُوعَ ٢٣ لأنّه قُدّوسُ اللهِ حقّاً ونبيٌّ مرسَلٌ لخَلاصِ الذين يؤمنون به».

لقدْ نجحَ الأسلوبُ الترغيبيُّ الذي استعمله المسيحُ عليه السلام بحيثُ جعلَ المرأةَ تطلبُ مزيداً من العِلْمِ بهذا الماءِ المسبِّبِ للحياةِ الأبديةِ، والذي هو ليس كمائِها، فلمْ تخجلْ مِنْ طلبِ معرفةِ الخيرِ المحجوبِ عنها، فاغتنمَ المسيحُ عليه السلام هذه الفُرْصةَ لتبليغِ أكبرِ عددٍ ممكنٍ مِنْ أهلِ السّامرةِ، فطلبَ منْها إحضارَ زوجِها؛ لِيَسْمعَ البشاراتِ المستقبَليةَ.

تصريحُ المرأةِ السّامريّةِ أمامَ عيسى عليه السلام بنُبُوّته وسكوتُه:

لمّا أَخبرَ المسيحُ عليه السلام المرأةَ بأمورٍ تخصُّها لا يعرفُها المسيحُ إلاّ بطريقِ الوحْيِ الذي يؤيّدُ اللهُ تعالى به أنبياءَه، زادَها ذلك يقيناً بنُبُوّته، فصرّحتْ بذلك وخاطبتْه: «وقالت: يا سيّدُ، أَرى بهذا أَنّكَ نَبِيٌّ»؛ فصار كلامُها شهادةً بنُبُوَّةِ المسيحِ عليه السلام، وصار سكوتُه إقراراً لهذه الشهادةِ؛ إذْ لمْ يُذْكَرْ في النصِّ اعتراضُه عليها في وصْفِها له بالنبُوّةِ، ولو كان المسيحُ عليه السلام إلهاً أو ابناً للإله لَمَا جاز له السكوتُ عن البيانِ في أمسِّ مواضعِ الحاجةِ إليْه؛ لأنّ النتيجةَ: «أَرَى بِهذا أَنّكَ نَبِيٌّ»، بُنيتْ على مقدّماتٍ صحيحةٍ، ولوْ كانت النتيجةُ خطأً لبَيّنَ ذلك فوراً؛ إذْ إنّ الخطأَ العقَديَّ لا يَحْتمِلُ التأخيرَ في البيانِ، فكانَ سكوتُه معادلاً للتصريحِ، بلْ هو أَبْلغُ في إقرارِ نُبُوّته

مِنْ لوْ قال لها: نعمْ أنا نَبِيٌّ؛ لأنها قالتْ: أَرَى، فهو استنتاجٌ سليمٌ، وأداءٌ للشهادةِ بنُبُوَّتِه في الوقتِ المناسبِ، ولو كانتْ مُخْطِئةً في رؤْيتِها واستنتاجِها لوجبَ عليه البيانُ، فرَضِيَ اللهُ تعالى عن هذه المرأةِ إذْ أَبطلتْ عقيدةَ إلَهِيّةِ المسيحِ وبُنُوّتِه لله، بهذه الكلماتِ اليسيرةِ الدالّةِ على ذكائِها وسلامةِ عَقْلِها.

تَحَوُّلُ المرأةِ السّامريّةِ إلى داعيةٍ لقومِها للإيمانِ بنُبُوَّةِ عيسى عليه السلام:

لقدْ آمنتْ المرأةُ بنُبُوّةِ عيسى عليه السلام ورسالتِه الخاصّةِ ببني إسرائيل، والسّامِريّونَ منهم، وتحوّلتْ فوراً إلى داعيةٍ لِمَا آمنتْ به، وصرّحتْ لقومِها بعقيدتِها، وقالتْ لأهلِ المدينةِ: «أيّها القوْمُ، تعالَوْا وانظُروا نبيّاً جديداً مُرْسَلاً من اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ»؛ فعَدَمُ اعتراضِ المسيحِ عليه السلام على وصْفِها له بالنُبُوَّةِ؛ إقرارٌ لهذا القولِ الذي يترتّبُ عليه اعتقادُ الجماهيرِ بنُبُوَّتِه وخصوصيةِ رسالتِه؛ لأنّ السكوتَ في موضعِ الحاجةِ إلى البيانِ وخاصّةً فيما يتعلّق بمسائلِ الاعتقاد، دليلُ الإقرارِ والرِّضا؛ وقد بُنِيَتْ على شهادتِها شَهادَةُ أهلِ المدينةِ كلِّهم عندما قالوا: «٢٣ لأنّه قُدّوسُ اللهِ حقّاً ونبيٌّ مرسَلٌ لخَلاصِ الذين يؤمنونَ به»، فلو كان هذانِ الوصْفانِ بالنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ غيرَ حقيقيّيْنِ لَمَا سكتَ عيسى عليه السلام عن البيانِ في أَمَسِّ مواضعِ الحاجةِ إليه؛ لِمَا في السكوتِ هنا مِنْ إضلالِ الجماهيرِ الكثيرةِ.

لقد نجحت المرأةُ السّامِريّةُ في أَداءِ الشهادةِ الجامعةِ بيْنَ وصْفَيْ النبوّةِ والرسالةِ، وهذا النجاحُ يبيّنُ أهمّيّةَ دَوْرِ المرأةِ الدعَوِيِّ؛ إذْ خرجَ أهلُ المدينةِ بترغيبِها إيّاهم سماعَ ما يقولُ هذا النبيُّ الرسولُ، فأَدخلتْ في الإيمانِ بعيسى عليه السلام وبالمَسِيّا المنتظَرِ جَمّاً غفيراً، وهو ما يأتي في الدلالة الثالثة.

إنّ كثيرينَ مِنْ أبنائِنا وبناتِنا في هذه الأيامِ يَخْجلونَ منْ سؤالِ أهلِ العلْمِ، وقدْ يقعُ أحدُهم في الخطأ ويُصِرُّ عليه إمّا استكباراً عن السؤالِ وإمّا حياءً، فتاهتْ عقولُهم وضاعتْ جهودُهم بين الكِبْرِ والحياءِ، وربّما الْتحقَ بعضُهم بالفِرَقِ الضالّةِ

والأفكارِ الغاليةِ المتطرّفةِ لابْتعادِهم عنْ أهلِ العلْمِ، وأَنفَتِهم مِن السؤالِ، والذي يُطالِعُ سيرةَ المصطفىﷺ يجدُ أنّ الصحابةَ رضي الله عنهم لمْ يتحرّجوا مِن السؤالِ عنْ دِينِهم في شتّى أُمورِه الكبيرةِ والصغيرةِ، وإنّ المرءَ في هذه الأيامِ عندما يَرى تسرّبَ العقائدِ الضالّةِ في فِكْرِ بعضِ أبناءِ المسلمينَ لَيَحْزنُ أيّما حزنٍ على تعطيلِ نعمةِ العقلِ التي لا تَعْدِلُها نعمةٌ أخرى، وإنّني إذا نظرْتُ إلى مَنْ عطّلَ نِعمةَ العقلِ طائعاً مختاراً، وقلّدَ أهلَ الضّلالِ في باطلِهم، فطعَنَ في الأنبياءِ والعلماءِ، وكفّرَ الميِّتينَ والأحياءَ، ولمْ ينْجُ من ظُلْمِه وبغْيِه إلاّ مَنْ كانَ على شاكلتِه من الغوغاءِ، لا أَجِدُ لهُ وصْفاً خيراً من قولِه سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

الدلالة الثالثة: السامريّونَ أَعْمَلُوا عقولَهم فآمَنوا بعيسىعليه السلام وشَهِدُوا بِنُبُوّتِه، وحَصادُ الأنبياءِ إيمانُ المَدْعُوِّين:

جاءَ في الفَصْلِ ٨٣ النَّصُّ التّالي: «١٦ الحقَّ أقولُ لكمْ: إنّه يوجَدُ اليومَ حَصادٌ عظيمٌ يُجْنَى ١٧ وَحينَئذٍ أَشارَ إلى الجمِّ الغفيرِ الذي أَتى لِيَراهُ ١٨ لأنّ المرأةَ لمّا دَخَلَت المدينةَ أثارتْ المدينةَ بأسْرِها قائلةً: أَيّها القومُ: تعالَوْا وانظُروا نبيّاً جديداً مُرْسَلاً من اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ ١٩ وقَصّتْ عليهِمْ كُلَّ ما سَمِعَتْ من يَسُوعَ ٢٠ فلمّا أَتَوْا إلى هناكَ توسّلُوا إلى يَسُوعَ أنْ يمكُثَ عندهُمْ ٢١ فدَخَلَ المدينةَ ومكثَ هناك يومَيْنِ شافياً كُلَّ المَرْضَى ومُعَلِّماً ما يختصُّ بملَكُوتِ اللهِ ٢٢ حينَئذٍ قال أهلُ المدينةِ للمرأةِ: إنّنا أَكثَرُ إيماناً بكلامِه وآياتِه منّا بما قلتِ ٢٣ لأنّه قُدّوسُ اللهِ حَقّاً ونبيٌّ مرْسَلٌ لِخَلاصِ الذينَ يؤمِنُونَ بِه».

فالفِطْرةُ السّليمةُ والعقلُ السّليمُ أَخَوانِ مُتعاونانِ، ولا يكتمِلُ الإيمانُ إلاّ باجتماعِهما، وهذا ما حصلَ عنْدَ السّامريّينَ، فسَمَّى المسيحُ عليه السلام استجابتَهمْ لدعوتِه حصاداً يُجْنَى: «١٦ الحقَّ أقولُ لكمْ: إنّه يوجَدُ اليومَ حَصادٌ عظيمٌ يُجْنَى».

لقدْ أكّدت المرأةُ لقومِها ما سبقَ ذِكْرُه في الدلالةِ الثانيةِ لمّا عرفتْ بعقلِها السليمِ نبُوّةَ عيسى عليه السلام فقالتْ له: «يا سَيِّدُ، أَرَى بِهذا أَنّكَ نَبِيٌّ»، فصرّحتْ هُنا لقومِها بنُبُوَّتِه ورسالتِه الخاصّةِ ببني إسرائيلَ، والسّامريّونَ منهم، فأَعلنتْ لهم قائلةً: «أَيّها القومُ: تعالَوْا وانظُروا نبِيّاً جديداً مُرْسَلاً من اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ»، والدليلُ على صِدْقِ إيمانِ المرأةِ ببشارةِ المَسيّا المنتظَرِ؛ إثارتُها أهلَ المدينةِ كلَّهم لسماعِ ما يقولُ فيهِ النبيُّ الجديدُ عيسى عليه السلام، لقدْ أُعجِبَ السّامريّونَ بذكاءِ ابنتِهم التي أثارتْهمْ للمجيءِ والاستماعِ، وكانوا أقربَ إلى الفطرةِ من العبرانيّينَ، إذْ حضَرَ منْهم الجَمُّ الغَفيرُ، ولمّا قابلَوا المسيحَ عليه السلام وسمِعُوا منْهُ، شَهِدُوا كلُّهم بنفْسِ الشّهادةِ؛ أنّهُ نَبِيٌّ ورسولٌ لِخَلاصِ المؤمنينَ به، وتوسّلُوا إليْهِ أنْ يَمْكُثَ عندهم: «٢١ فدَخَلَ المدينةَ ومكثَ هناك يوميْنِ شافياً كُلَّ المَرْضَى ومُعَلِّماً ما يختصُّ بملَكُوتِ اللهِ»، وقالوا لابْنَتِهم: «٢٢ حينَئذٍ قال أهلُ المدينةِ للمرأةِ: إنّنا أَكثَرُ إيماناً بكلامِه وآياتِه منّا بما قلتِ ٢٣ لأنّه قُدّوسُ اللهِ حقّاً ونبِيٌّ مرْسَلٌ لِخَلاصِ الذينَ يؤمِنُونَ به».

فثَبتَ أنّ إجابةَ عيسى عليه السلام طلبَ السّامريّين ومُكْثَه عندهم لأمريْنِ:

<u>الأول:</u> لشفاءِ مَرْضاهمْ على يَدِه كَنَبِيٍّ جديدٍ مرسَلٍ من اللهِ تعالى لِخَلاصِ المؤمنينَ به.

<u>والثاني:</u> لتبليغِهم البِشارةَ بمَلَكُوتِ اللهِ القادمِ على يَدِ النّبِيِّ المَسيّا المُنتظَرِ.

وأمّا قولُ السّامريّينَ لابْنتِهمْ: «٢٢ إنّنا أَكثَرُ إيماناً بكَلامِه وآياتِه منّا بما قُلْتِ» فقولٌ حقٌّ وصِدْقٌ، وذلك لأنّ كلامَ ابنتِهم لهمْ عنْ بشاراتِه ومعجزاتِه لَمّا أثارتْهم كلامٌ نظريٌّ، عَلِموا به صِدْقَها وصِدْقَ نُبُوّةِ عيسى عليه السلام عِلْمَ اليقينِ، لكنّهم لمّا قابَلوه وشاهَدوا معجزاتِه بأعينِهمْ وسَمِعوا أقوالَه بآذانِهم انتقلَ عِلْمُهم وإيمانُهم به إلى مَرتبةِ

عيْنِ اليقينِ وحقِّ اليقينِ، فقالوا لها: «٢٢ إنّنا أَكثَرُ إيماناً بكَلامِه وآياتِه منّا بِما قُلْتِ ٢٣ لأنّه قُدّوسُ اللهِ حقّاً ونبِيٌّ مرْسَلٌ لِخَلاصِ الذينَ يؤمِنُونَ بِه».

فرحِمَ اللهُ تعالى تلكَ المرأةَ السّامِرِيّةَ التي صارتْ خيْرَ سَلَفٍ لخيْرِ خَلَف؛ الذينَ لمْ يُفَرّقُوا في الإيمانِ بيْنَ الرسُلِ؛ فآمنوا بهمْ جميعاً، وصدَقَ فيهم قولُه تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

وإنّنا في هذا الزمانِ بأمسِّ الحاجةِ إلى إيقاظِ الفِطرةِ الدينيةِ وتغذيتِها بمخْرَجاتِ العقلِ السليمِ، وتسْخيرِهما في الدّعْوَةِ إلى اللهِ بالحِكْمةِ والموْعِظَةِ الحَسَنَةِ والمُجادَلَةِ بالتي هيَ أَحْسَنُ، وخاصّةً أنّ تطوّرَ العلومِ كلِّها يؤيّدُ صِحّةَ دِينِ الإسلامِ، وصِدْقَ نُبُوّةِ محمدٍ ﷺ، والعقلُ السليمُ ليس حِكْراً على العربِ والمسلمين، فإنّنا نرى كثيرينَ مِنْ غيْرِ المسْلِمين يستعملونَ عقولَهم، ويُزيلونَ الرّانَ عن فِطَرِهم، ويُعلِنونَ إيمانَهمْ بالمسيحِ عيسى عبْداً نبيّاً ورسولاً بَشَريّاً، فيرقِّيهم إيمانُهم هذا إلى الإيمانِ بصِدْقِ بشاراتِه الإنجيليّةِ، وأعظَمُها البشارةُ بالْمَسيّا المنْتَظَرِ الآتي بعْدَهُ؛ فيؤمنونَ بخاتمِ النبيينَ محمدٍ ﷺ، ويجاهِرونَ بذلك في ندَواتِهم ومؤلَّفاتهم، وصدَقَ فيهم قولُه تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

الدِّلالةُ الرابعةُ: اغتنامُ الفرْصةِ للاستفسارِ عنْ أهَمِّ ما يشغلُ بالَ الإنسانِ منْ أُمورِ دِينِه:

جاءَ في الفَصْلِ٨١ النَّصُّ التّالِي: «١٩ لذلكَ أَضْرَعُ إليْكَ أنْ تُخْبِرَنِي عمّا يأْتِي: إنّ العِبْرانيّينَ يُصلُّونَ على جَبَلِ صِهْيَوْنَ في الهَيْكَلِ الذي بَناهُ سُلَيْمَانُ في أُورشليمَ ويقولونَ: إنّ نِعمةَ اللهِ ورحْمَتَهُ تُوجَدُ هناكَ لا فِي مَوْضعٍ آخَر ٢٠ أمّا قوْمُنا فإنّهم يَسْجُدُونَ على هذهِ الجِبَالِ ويقولون: إنّ السُّجُودَ إنّما يَجِبُ أنْ يَكُونَ على جِبَالِ السّامِرَةِ فقطْ، فمَنْ هُمُ السّاجِدُونَ الحقِيقِيّونَ؟».

وهنا لا بدّ من توضيحٍ ضروريٍّ لاسْمَيْنِ وَرَدَا في كلامِ المرْأةِ يتعلّقانِ بِفَهْمِ الدِّلالةِ الرابعةِ، فأقول:

جِبالُ السّامِرةِ: والمقصودُ جَبَل جِرِزّيم: وهو يُكوِّنُ الحدَّ الجنوبيَّ للوادي الذي تقعُ فيه مدينةُ شكيمُ نابلسُ، ويسمّى الآنَ جَبَل الطُّور، وفي سَفْحِهِ بئْرُ يعقوبَ التي عندها الْتقى المسيحُ عليه السلام بالمرْأةِ السّامِرِيّةِ، ولا تختلفُ عقائدُ اليهودِ السّامِرِيّينَ عن العِبْرانيّينَ إلاّ في أمورٍ يسيرةٍ لا تُخْرِجُهمْ عنْ كوْنِهمْ يهوداً، فالسّامِرِيّونَ لا يُقَدِّسُونَ أورشليمَ ومَعْبَدَها، وإنما يُقدِّسُونَ جبلَ جِرِزّيمَ وعليه مَعْبَدُهمْ، ويَصْعَدُونَ إليه في أعيادِهم، ولهم كَنِيسٌ يَعْبُدونَ فيه أيامَ السبْتِ، ويؤمنونَ بالْمَسِيّا المبشَّرِ به في التوراةِ، ولهم مدْرسةٌ خاصّةٌ بهم لتعليمِ دِيانتِهمْ وتَوْراتِهم، وتضمُّ توراتُهم أسفارَ موسى الخمسةَ فقط، ولا يَقْبلونَ غيرَها مِن الكتبِ الدينيةِ المقدّسةِ عند بقيّةِ اليهودِ، وبيْن التوراتيْنِ السّامِرِيّةِ والعبرانيةِ اختلافاتٌ كبيرةٌ في ستّةِ آلافِ موْضعٍ(٤).

صِهْيَوْنَ: اسْمٌ عبريٌّ معناهُ على الأرجحِ: حِصْنٌ، وهو يقوم على إحدى روابي أورشليم، ويقولُ اليهودُ العِبْرانيّونَ: إنّ داودَ عليه السلام لمّا استولى على الحِصْنِ سمّاهُ: مدينةَ داودَ، وإنّ المعبدَ الذي أقامهُ سليمانُ كان على جبلِ المُرَيّا في أورشليم، وتوسّعوا في إطلاقِ اسْمِ صِهْيَوْنَ حتى شَمَلَ الاسْمُ أورشليمَ كلَّها(٥).

والواقعُ أنّ هذه التسميةَ سياسيةٌ مقصودةٌ أدْخَلَها بعْدَ داود عليه السلام الأحبارُ العِبْرانيّونَ المحرِّفونَ تمهيداً لابْتلاعِ الأرضِ وسُكّانِها؛ وكانتْ أوّلُ مرّةٍ يَرِدُ فيها اسْمِ صِهْيَوْنَ في سِفْرِ صموئيلَ الثاني٥: «[٧]مَدِينَة دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ». وفي سِفْرِ الملوك الأول٨: «[١]مَدِينَة دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ»، وفي سِفْرِ أخبارِ الأيامِ الأول١١: «[٥]فَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ»، وفي سِفْرِ أخبارِ الأيامِ الثاني٥: «[٢]مَدِينَة دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ».

ويلاحَظُ أنّ هذه العبارةَ في الأسفارِ الأربعةِ قدْ كُتِبتْ بروحٍ واحدةٍ، وكأنّ كاتبَها شخصٌ واحدٌ، فكتبها بنفْسِ الألفاظِ والروحِ، وبما أنّها تسْميةٌ سياسيةٌ ابتدعَ الأحبارُ كاتبُو سِفْرِ المزاميرِ لصِهْيَوْنَ أوصافاً أرادوها مُسْبَقاً؛ فالرَّبُّ يسْكُنُ في صِهْيَوْنَ، ولا خلاصَ لليهودِ إلاّ منْ صِهْيَوْنَ، والعالَمُ كلُّه يفرحُ بِقِبْلَتِه صِهْيَوْنَ، وعليه أنْ يطوفَ حولها، فنَسَبوا إلى الله تعالى قولَه في المزمور٢: «[٦]صِهْيَوْن جَبَل قُدْسِي»، وفي المزمور٩: «[١١]رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صِهْيَوْنَ»، وفي المزمور١٤: «[٧]مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَص إِسْرَائِيلَ»، وفي المزمور٤٨: «[١]فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ [٣]اللهُ فِي قُصُورِهَا يُعْرَفُ مَلْجَأً [١٢]طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ، وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا [١٣]ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا». ولأجْلِ هذه المعاني صار الاسْمان صِهْيَوْنُ ومدينةُ داودَ مترادفيْن، ويكفي أنْ تعْلَمَ أنّ اسمَ صِهْيَوْنَ قد وردَ في أسفارِ العهدِ القديمِ أكثر منْ مئتيْ مرّة كلّها على نفْسِ الشاكلةِ من التمجيدِ والتعظيمِ لِصِهْيَوْنَ، وهذه الأسفارُ كلُّها قدْ كُتِبتْ بعد السَّبْيِ البابلي، فكثرَ فيها تمجيدُ صِهْيَوْنَ منْ أجلِ ربْطِ مُشَتَّتِي اليهودِ بأملٍ يُرادُ تحقيقُه، وهو العودةُ إلى صِهْيَوْنَ.

بينما لمْ يَرِدْ اسمُ صِهْيَوْنَ في إنجيلِ بَرْنابا كلِّه إلاّ مرةً واحدةً فقط في سؤالِ المرأةِ السّامريّةِ للمسيح عليه السلام، وكان قدْ حيّرَها أمرٌ عقديٌّ وعباديٌّ خطيرٌ وسؤالٌ لمْ يُجبْها أحدٌ عنه، وهو: أين هي رحمةُ الله؟ في أورشليمَ أمْ في شكيمَ؟ فاغتنمتْ فُرْصَةَ

لقائِها بالنبيِّ الموحَى إليه لإزالةِ حيْرتِها، وبخاصّةٍ أنها وَجَدَتْه غيْرَ متعصِّبٍ، فسألَتْه عن المعبَدِ ومكانِ السّجود الحقيقيِّ المرْضيِّ للهِ تعالى؛ فالسّامِريّونَ علّموها أنه على جبلِ جِرِزّيمَ، واليهودُ العبرانيّونَ يقولون إنه في صِهْيَوْنَ في أورشليم، وبما أنها مهتمّةٌ بدِينها وصَلاتِها بادرتْ بالسؤالِ عن هذا الأمرِ المحيِّرِ! فاليهودُ السّامِريّونَ والعِبْرانيّونَ كلّهم أتباعُ موسى عليه السلام، فلماذا هذا الاختلافُ في أمرٍ هو مِنْ صُلْبِ الدينِ وعليهِ تتوقّفُ صحّةُ العبادة!؟ وهل يجوز لأحدٍ أنْ يحصرَ رحمةَ الله تعالى بجنسٍ دون غيرِه أو في مدينةٍ دونَ أُخرى!؟

وإنّ كلامَ المرْأةِ لَيَقْطُرُ ألَماً نفْسيّاً عندَ حديثِها عنْ روحِ التعصّبِ العِبرانيِّ المانعِ لرحْمةِ اللهِ تعالى أنْ تصيبَ غيرَهم، فذكرتْ لهُ أنّ العبرانيّينَ يحْتَكِرونَ رحمةَ اللهِ للسّاجِدينَ على جَبلِ صِهْيَوْنَ، والسّامِرِيّينَ يحْتكِرونها للسّاجِدين على جَبلِ جِرِزّيمَ، فطلبَتْ منه بصِفَتِه نبيّاً أنْ يُنْقِذَها مِنْ حَيْرتِها، ويُخْبِرَها عن السّاجِدينَ الحقيقيّينَ المَقْبُولِينَ عندَ اللهِ تعالى، فهِيَ طالبةٌ رحمةَ اللهِ تعالى، وباحِثةٌ بصِدْقٍ عنْ مصْدَرِها الحقيقيِّ!!

وما أجملَ البحثَ الصادقَ عنْ رحمةِ اللهِ لِيَسْلُكَ المهتمّونَ بدِينِهِمْ مسالكَها الصحيحةَ، ولِيُدْخِلوا الحَيارَى فيها، ولا يُمْسِكونها حِكْراً لأنفسِهِمْ، وحِجْراً محْجُوراً عليهم فقط، وكأنّهم موكَّلون أنْ يَقْسِموا رحمةَ ربِّك!!

الدِّلالَةُ الخامِسَةُ: المسيحُ عليه السلام يَشْهَدُ على اليهودِ بالنَّزْعةِ المادِّيَّةِ الجارفَةِ الصّارفَةِ لهمْ عن الدِّين:

جاءَ في الفَصْلِ ٨٢ النَّصُّ التّالي: «١ حِينَئِذٍ تَنَهّدَ يَسُوعُ وبَكَى قائلاً ٢ وَيْلٌ لَكِ يا بِلادَ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّكِ تَفْخَرِينَ قَائِلَةً: هَيْكَلُ الرَّبِّ هَيْكَلُ الرَّبِّ وتَعِيشِينَ كَأَنَّهُ لاَ إِلَهَ

مُنْغَمِسَةً في المَلَذّاتِ ومَكاسِبِ الْعالَمِ ٣ فإنَّ هذهِ المَرْأةَ تَحْكُمُ عَلَيْكِ بالْجَحِيمِ في يَـوْمِ الدِّينِ ٤ لأنَّ هذهِ المَرْأةَ تَطْلُبُ أنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَجِدُ نِعْمَةً ورَحْمَةً عِنْدَ اللهِ».

اليهوديةُ: اسْمٌ للقسْمِ الجَنوبيِّ مِنْ فِلسطينَ، وفيه كانتْ مملكةُ يَهُوذا، المملكـةُ الجَنوبيّةُ بعدَ الانقسامِ وعاصمتُها أورشليمُ، ثَبَتَتْ على التوحيدِ بعدَ موتِ سليمانَ عليه السلام حوالَيْ قرْنٍ مِن الزّمانِ، ثمّ لمْ تَلْبثْ أن ارتدّتْ بعُنْفٍ، حيثُ تَنافَسَ ملوكُها في نَصْبِ عُجولِ الذّهَبِ في مُرْتفعاتِها، وفي داخلِ المَعْبَدِ الذي بَناهُ سليمانُ عليه السلام، ويُطْلِقونَ عليه اسْمَ: الهيْكل، فسلّطَ اللهُ تعالى عليهم المَلِكَ الوثنيَّ البابليَّ نَبُوخذنصر سنة ٥٨٦ق.م، فدَمّرَ أورشليمَ، ونقَضَ المَعْبَدَ حَجَراً حَجَراً، وأَحرقَ الكتُبَ المقدَّسةَ، ونَهَبَ الآنيـةَ السُّليمانيةَ، وقَتَلَ كثيرينَ، وأَخَذَ الباقينَ أَسْرى إلى بابلَ، فعُرِفَ هذا فـي التـاريخِ بالسبْيِ البابليِّ، وأخبارُه مفصّلةٌ في سِفْرِ الإصحاحيْن ٢٤ و٢٥ من سـفر الملـوك الثاني، والإصحاح ٣٦ من سِفر أخبار الأيام الثاني(٦).

وإنَّ أسفارَ العهدِ القديمِ تَفُورُ بذكْرِ أسماءِ الآلهةِ الوثنيةِ التي عَبَـدَها اليهـودُ وملوكُهم في فلسطين، ثمّ بعدَ العوْدَةِ منَ السَّبْيِ البابليِّ رَجَعُوا يَعْشَقونَ آلِهَةَ الفُرْسِ، فعَبَدُوا الآلهةَ تَمّوزَ وعَشْتارَ وبَعْلاً وغيْرَها، فَغَرِقُوا في الوثنيّةِ منْ جميعِ مواردِها، ولمْ يَبْقَ إلهٌ للوثنيّينَ المجاورينَ لهمْ إلاّ نَالَ نصيبَهُ منَ العبادةِ في بِلادِ اليهوديّةِ، ولمْ يَسْتَطِعْ النبيُّ إلياسُ عليه السلام صَدَّهم عن عبادةِ بعْلٍ، وقد ذَكَرَ القرآنُ الكريمُ قصّتَهُ فقـال تعالى في سورة الصافات: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾** ﴾.

ورافقَ غَرَقَ اليهودِ في العِباداتِ الوثَنيَّةِ وطُقُوسِها غَرَقُهُمْ في المادّيّةِ الحِسيّةِ الْبَهيمِيَّةِ، واستمرَّ ازْدِيادُ ذلكَ في أَجْيالِهِمْ، فقَتَلُوا لأجْلِها بعضَ الأنبياءِ النّاهينَ إيّاهمْ عنْ عِبادةِ الأصنامِ، وصَدَقَ فيهم قولُه تعالى في سورة البقرة: ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ**

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

فلأجْلِ كلِّ ذلكَ نادَى المسيحُ عليه السلام بالويْلِ والهَلاكِ على بلادِ اليهوديّة، والمقْصودُ شَعْبُها، وذَكَرَ ذلك متّى في إنجيلِه٢٣: «[37]يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا [38]هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا». وفيه أيضاً٢٤: «[1]ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ [2]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ»، ويؤْخَذُ مِنْ هذا فائدتانِ:

<u>الأُولى:</u> أنّ سُنّةَ اللهِ تعالى لا تُحابي أحداً، فإذا انحرفَ أتباعُ الأنبياءِ عنِ الدِّينِ الحقّ وتَركوا طريقَ المرْسَلينَ إليهِمْ؛ حلّتْ بهمْ عقوبةُ اللهِ تعالى ونِقْمَتُه، ولا يَصْرِفُ العقوبةَ كونُهمْ أبناءَ الأنبياءِ.

<u>والثانية:</u> استحالةُ اجْتماعِ المادِّيَّةِ معَ العُبُوديَّةِ الكاملةِ للهِ تعالى في قَلْبٍ، فإذا دَخَلَ أحدُهما القلْبَ واستحْكمَ فيه خَرَجَ الآخَرُ.

وإنّنا في هذا الزمانِ لَبأَمَسِّ الحاجَةِ إلى التخْفيفِ مِنْ طُغْيانِ الماديّةِ الغاليةِ على المجتمعاتِ الإسلاميّةِ، والحدِّ منْ سيْطرتِها على حياةِ الناسِ، وذلكَ بأنْ يُرَكِّزَ الدُّعاةُ والمُرَبُّونَ على التربيةِ الإيمانيةِ للأجْيالِ الناشئةِ، وتَوْجيهِ النّاسِ إلى العُبُوديَّةِ الحقَّةِ للهِ تعالى، ولا تَكُونُ حقَّةً إلاّ إذا جَمَعَتْ باعتدالٍ بيْنَ الدِّينِ والدُّنيا، انطلاقاً من قولِه عزّ وجلّ في سورة القصص: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ

﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

المطلبُ الثاني: البِشاراتُ المُستفادَةُ مِنْ حِوارِ المَسيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ حسبَ نَصِّ إنْجيلِ بَرْنابا:

البِشارةُ الأُولى: البِشارةُ بمكّةَ المكرّمةِ ومسجدِها الحرامِ القِبْلةِ الجديدةِ، وبأُمّةِ محمدٍ ﷺ التي جُعِلتْ لها الأرضُ مَسْجِداً وطَهُوراً:

جاءَ في الفَصْلِ ٨٢ النَّصُّ التّالي: «٨ ولكنْ صَدّقيني إنَهُ يَأْتي وقْتٌ يُعْطي اللهُ فيهِ رَحْمَتَهُ في مَدينَةٍ أُخْرَى ويُمْكِنُ السُّجُودُ لهُ في كُلِّ مَكانٍ بالْحَقِّ ويَقْبَلُ اللهُ الصَّلاةَ الحَقيقيّةَ في كُلِّ مَكانٍ رَحْمَتِه ١٨ حينَئِذٍ يُسْجَدُ للهِ في كُلِّ العَالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ».

اليهودُ العبرانيّونَ يُعَظِّمونَ أورشليمَ ومَعْبَدَها، ويقولونَ: إنّ المَعْبَدَ الحَقيقيَّ لبَني إسرائيلَ يَجبُ أنْ يُبْنَى في أُورشليمَ، واليهودُ السّامِريّونَ يُعَظِّمونَ السّامرةَ نابلسَ وجَبَلَها جرِزّيمَ، ويقولونَ: إنّ المَكانَ الحَقيقيَّ لِبنائِه هو السّامِرَةُ نابلسُ، ويلاحظُ أنّ جَوابَ المسيحِ عليه السلام للمرْأةِ جاءَ بصيغة المستقبَل، فبيّنَ لها أنّ رَحْمَةَ اللهِ تعالى ستَحُلُّ على مَدينَةٍ أُخْرَى بحيْثُ لا تُقْبَلُ الصَّلاةُ إلاّ ممّنْ تَوجّهَ في صَلاتِه إلى هذهِ المدينةِ الجديدةِ ومَعْبَدِها، وحينَئذٍ لنْ تكُونَ أورشليمُ ولا السّامِرَةُ قِبْلَةً مَرْضيّةً للهِ تعالى، ولا تُقْبَلُ الصَّلاةُ ممّنْ أَصَرّ على التَّوَجُّهِ إليهما.

ويُفْهَمُ مِنْ قولِه: «في مَدينةٍ أُخْرَى» نَسْخُ القِبْلَةِ إلى أورشليمَ والسّامِرَة، والبِشارةُ بمكّةَ المكرّمةِ، وتحْويلُ القِبْلَةِ إلى كَعْبَةِ مَسْجِدِها الحَرامِ؛ إذْ إنّ مُسْتَقْبِليهما هُمُ السّاجِدونَ الحَقيقيّونَ، وقِبْلَتَهُم الجديدةَ هيَ القِبْلَةُ الحَقيقيّةُ التي ارْتضَاها اللهُ تعالى قِبْلَةً للعالَمينَ، وسيُطْلَبُ منْ أتْباعِ القِبْلَةِ الجديدةِ النّاسِخَةِ في كُلِّ أنْحاءِ العالَمِ أنْ يَتوجَّهُوا في صَلاتِهم إليها، وسيَسْجُدونَ للهِ في كُلِّ الأرضِ، فلا يُمْنَعون منَ الصلاةِ خارجَ المعابدِ المُشَيَّدَةِ؛ بلْ يَسْجُدُون للهِ في أسفارِهم وبيوتهم ومزارِعِهم وأماكنِ أعمالِهم دُونَ الالتزامِ بالمَعْبَدِ المخصَّصِ، وهذا كلُّه لا يَنْطَبِقُ إلاّ على أتْباعِ شَرْعِ

محمدٍﷺ ودِينه النّاسخ لِمَا قبْلَه، وهو موافقٌ لقوْله تعالى في سورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

وإنّ التدْقيقَ في الآياتِ الكريماتِ المُشارِ إليها مِنْ سُورةِ البقَرَةِ؛ لَيُبَيِّنُ التّوافُقَ العَجِيبَ بيْنَ نَصِّها ونَصِّ بِشارةِ الإنْجيلِ؛ فقدْ كانَ في المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ قَبائلُ اليهودِ العبرانيّينَ الذينَ يُعَظِّمُونَ أُورشليمَ القُدْسَ وفيها قِبْلَتُهُمْ، وكانَ النّبيُّﷺ بعْدَ الهِجْرَةِ يَتَوَجَّهُ إلى الْقُدْسِ في صَلاتِه ويَرْجُو إسْلامَ اليهودِ، ولكنّهُ بعْدَ أنْ صَلَّى إلى قِبْلَتِهِمْ سَبْعةَ عَشَرَ شَهْراً، ولمْ يَجِدْ منْهُم إلاّ العِنادَ والاسْتِكْبَارَ بغَيْرِ الحَقِّ، كانَ ﷺ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إلى السّماءِ يَهْوَى ويَشْتَهِي أنْ يَصْرِفَ اللهُ تعالى قِبْلَتَهُ إلى كَعْبَةِ البيْتِ الحَرامِ بمَكّةَ المُكَرَّمَةِ، حتّى اسْتَجابَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ، فوَجَّهَهُ إلى القِبْلَةِ التي كان يَهْواها ويَشْتَهِيها، وقدْ أجمعَ المفسِّرونَ على أنّ الضَّميرَ في قولِه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ راجِعٌ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ، وذلك لأنَّ أهْلَ الكِتابِ يَعْلَمُونَ أنّهُ قِبْلَةُ أبيهِمْ إبراهيمَعليه السلام، ولمْ تَكُنْ أُورشليمُ القُدْسُ ولا السّامِرَةُ قِبْلَتَهُ، وبما أنَّ العِبْرانيّينَ لا يَقْبَلُونَ بشَكِيمَ قِبْلَةَ السّامِريّين، وكذلكَ لا تَقْبَلُ هاتانِ الطّائفتانِ اليهوديّتانِ بجِهَةِ الشَّرْقِ قِبْلَةَ النّصارَى، والنّصارَى أيضاً لا يَقْبَلُونَ بقِبْلَةِ اليهودِ، فوجَبَ اجْتِماعُ المِلَلِ كلِّها على القِبْلَةِ التي بَناها ورَفَعَ قواعدَها الأبُ الأَوّلُ إبراهيمُعليه السلام، إذْ الكُلُّ يَنْتَسِبُونَ إليهِ ويَحْتَرِمُونَهُ(٧).

وبهذا ثَبَتَ أنّ قولَ عيسىعليه السلام للمرأةِ على صيغةِ الاستقبالِ: «٨ ولكنْ صَدِّقِيني إنَهُ يَأْتِي وقْتٌ يُعْطِي اللهُ فيهِ رَحْمَتَهُ في مَدِينَةٍ أُخْرَى ويُمْكِنُ السُّجُودُ لهُ في كُلِّ مَكانٍ

بالْحَقِّ ويَقْبَلُ اللهُ الصَّلاةَ الحَقِيقِيّةَ في كُلِّ مَكانِ رَحْمَتِهِ ١٨ حِينَئِذٍ يُسْجَدُ للهِ في كُلِّ العَالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ»، يُسْتفادُ منه بِشَارَتان:

الأُولى: البِشارةُ بمَدِينَةِ مَكّةَ المكَرَّمَةِ وقِبْلَتِها الجَديدةِ كَعْبَةِ المَسْجدِ الحَرامِ، النّاسخَةِ لِقِبْلَتَيْ اليهودِ والنصارى.

والثانيةُ: البِشارةُ بعالَمِيّةِ الدِّينِ الجديدِ المُبِيحِ للسُّجُودِ في كُلِّ مَكانٍ في العالَمِ، والنّاسِخِ لِلآصارِ التي حُمِّلَها اليهودُ بِبَغْيِهِمْ. وهذه البِشارةُ أيضاً ظَاهِرَةٌ في صَلاةِ المُسْلمينَ وَحْدَهم؛ لأنّ اللهَ تعالى أَباحَ لهمُ الصَّلاةَ في جَمِيعِ الأرْضِ شَرِيطَةَ التَّوَجُّهِ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ بِمَكّةَ المُكَرَّمَةِ، فهُمْ يُصَلّونَ حيْثُ أَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاةُ، ولا تُشْتَرَطُ لِصِحَّةِ الصَّلاةِ المَساجِدُ والمَعابِدُ المَخْصُوصَةُ بالبِناءِ كَمَا هوَ الحالُ عندَ أَهْلِ الكِتابِ، بَلْ جُعِلَتْ للمُسْلِمينَ الأرضُ كلُّها مَسْجداً وطَهُوراً. وجاءت الأحاديثُ الشّريفةُ مفَسِّرةً ومُبَيِّنةً للقرآنِ الكريمِ في هذا الأمرِ؛ فقد روى الإمامُ مسْلِمٌ عنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسَاً لمْ يُعْطَهُنّ أَحَدٌ قَبْلِي ... وجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ طَيِّبَةً طَهُوراً ومَسْجِداً، فأيُّما رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصّلاةُ صَلَّى حيْثُ كَانَ»(٨).

البِشارةُ الثانيةُ: البِشارةُ بالْمَسِيَّا المُنْتَظَرِ وأَصْحابِهِ وأُمَّتِهِ، والمَسِيحُ عليه السلام يُؤَكِّدُ وُجُوبَ مَعْرِفَةِ الْمَسِيَّا، وأنّ الإيمان بالْمَسِيَّا هو طريقُ النّجاةِ:

جاءَ في الفَصْلِ٨٢ النَّصُّ التّالي: «٩ أَجابَت المرْأةُ: إنّنا نَنْتَظِرُ مَسِيَّا فمَتَى جاءَ يُعَلِّمُنا ١٠ أَجَابَ يَسُوعُ: أَتَعْلَمِينَ أَيَّتُها الْمَرْأةُ أنّ مَسِيَّا لا بُدَّ أنْ يَأْتِيَ؟ ١١ أَجَابَتْ: نَعَمْ يا سَيِّدُ ١٢ حِينَئِذٍ تَهَلَّلَ يَسُوعُ وقالَ: يَلُوحُ لِيَ أَيَّتُها المرْأةُ أَنّكِ مُؤْمِنَةٌ ١٣ فَاعْلَمِي إذاً أَنّهُ بالإِيمَانِ بِمَسِيَّا سَيَخْلُصُ كُلُّ مُخْتَارِي اللهِ ١٤ إذاً وَجَبَ أنْ تَعْرِفِي مَجِيءَ مَسِيَّا».

الْمَسِيّا أو الْمَاشِيَّحُ لُغَـةً: ذكَرَ كُتّابُ قاموسِ الكتابِ المقدَّسِ أنّ كلمَةَ مَسِيّا هي الصِّيغةُ العَرَبيّةُ للكَلِمَةِ اليونانيّةِ: مسْياس، وهي مَأْخُوذةٌ منَ الكَلِمَةِ الآراميّةِ: مَشِيحا، ومعْناها: المَسِيحُ، وذكر المسيري أنّ مَاشِيَّحُ: كَلِمةٌ عِبْرِيَّةٌ معْناها: المَسِيحُ المُخَلِّصُ، ومنْها: مَشِيحْيُوتْ، أيْ المَشِيحَانِيّة، وهي: الاعتقادُ بمَجِيءِ المَاشِيَّح، والكَلِمَةُ مُشْتقَّةٌ منَ الكَلِمَةِ العِبْرِيّةِ: مُشِحَ، ومعناها: مُسِحَ بالزيْتِ المقدَّسِ، وكانَ اليهودُ يَمسحُونَ بالزيْتِ رأسَ الملِكِ والكاهِنِ قبْلَ تَنْصِيبِهِما عَلامَةً على المَكانَةِ الجديدةِ الخاصَةِ بهِما(٩).

الْمَسِيّا أو الْمَاشِيَّحُ اصْطلاحاً: هو شخْصٌ منْ نَسْلِ داودَ عليه السلام يَتَمَتّعُ بقَداسَةٍ خاصّةٍ، مرْسَلٌ منَ الإلهِ لِيُعَدِّلَ مَسارَ التاريخِ اليهوديِّ والبَشَرِيِّ، ويُنْهِيَ عذابَ اليهودِ، ويأْتِيَهُمْ بالخَلاصِ، ويَجْمَعَ شَتاتَهُمْ إلى صِهْيَوْنَ، ويُحَطِّمَ أعداءَهُمْ، ويُعِيدَ بِناءَ الهيْكلِ في أُورشليمَ ويَتَّخِذَها عاصِمَةَ مُلْكِه، وبعْدَ ذلكَ يَدُومُ الفِرْدَوْسُ الأرْضِيُّ لليهودِ ألْفَ عامٍ، وتكُونُ كُلُّ الأُمَمِ في خِدْمَةِ المَاشِيَّحِ اليهوديِّ، والخَلاصُ في العقيدةِ المَشِيحَانيّةِ ليسَ مَرْهوناً بفِعْلِ الخيْراتِ وعمَلِ الصالحاتِ، وإنّما هوَ حِكْرٌ لِجِنْسِ بَنِي إسرائيلَ فقطْ، وحقٌّ متوارَثٌ في جميعِ أنْسَالِ أجْيالِهِمْ(١٠).

وقدْ أَخَذَ النّصارَى نفْسَ أفكارِ المَشِيحَانيّةِ اليهوديّةِ، إلاّ أَنّهُمْ يَنْطِقُونَ حَرْفَ الشِّينِ المُعْجَمَةِ سِيناً مُهْمَلَةً، فيقولون: مَسِيّا، وعندَهمْ: لا نجاةَ لأَحَدٍ إلاّ بالإيمانِ بالمَسِيحِ المُخَلِّصِ، وعنْدَ الفريقيْنِ لا قِيمةَ للعمَلِ الصالحِ؛ فاليهودُ حَصَرُوا النّجَاةَ في جِنْسِهِمْ الإسرائيليِّ فقط، والنّصارَى وإنْ جَعَلُوا النّجَاةَ والْخَلاصَ لكُلِّ البَشَرِ بِغَضِّ النَّظَرِ عنِ الجِنْسِ، لكنّهم اشْتَرَطُوهُ بالإيمانِ بعقيدةِ الْمَوْتِ الكَفَّارِيِّ على الصَّلِيبِ(١١).

وبما أنّ ذِكْرَ المَسِيّا المنتظَرِ موجودٌ في التّوراةِ السَّامِرِيّةِ، وتَدِينُ هذه المرْأةُ بنفْسِ العقيدةِ اليهوديّةِ للْمَسِيّا بمَعْناهُ الخاصِّ، كانَ أَطْوَلَ حِوارٍ دارَ بيْنَ المسيحِ عليه السلام

والمرأةِ الحِوارُ حَوْلَ شَخْصيّةِ المَسيّا المُنْتَظَرِ المبشَّرِ به، فقدْ وردَتْ كلمَةُ مَسيّا في جميعِ فصولِ إنجيلِ بَرْنَابَا اثنتيْنِ وثلاثينَ مرّةً، منها ثماني مرّاتٍ في هذا الحِوارِ، وكانَ كلامُ المتحاورَيْنِ كُلُّهُ قد وَرَدَ بِصيغَةِ الاسْتِقْبالِ كما يلي: «٩ أَجابَت المَرْأةُ: إنّنا نَنْتَظِرُ مَسيّا فمَتَى جاءَ يُعَلِّمُنا ١٠ أَجَابَ يَسُوعُ: أَتَعْلَمِينَ أَيَّتُها الْمَرْأةُ أنّ مَسيّا لا بُدَّ أنْ يَأْتِيَ؟ ١٣ فَاعْلَمِي إذاً أَنّهُ بالإيمَانِ بِمَسيّا سَيَخْلُصُ كُلُّ مُخْتَارِي الله ١٤ إذاً وَجَبَ أنْ تَعْرِفِي مَجِيءَ مَسيّا».

فصيغةُ كلامِ المرأةِ أوّلاً: «إنّنا نَنْتَظِرُ مَسيّا فمتَى جاءَ يُعَلِّمُنا»، وبعدَه صيغةُ سؤالِ المسيحِ لها: «أَتَعْلَمِينَ أَيَّتُها المرْأةُ أنّ مَسيّا لا بُدّ أنْ يأْتِيَ؟»، تَدُلاّنِ على أنّ المَسيّا ما زالَ مُنْتَظَراً، وأنّه لمْ يَظْهَرْ إلى زمانِهما.

ويُفْهَمُ مِنْ كلامِها أيضاً: أنّ وظيفةَ المَسيّا التعليمُ، وهذا موافقٌ للوصْفِ الذي وَصَفَ به إبراهيمُ عليه السلام النّبيَّ المبشَّرَ به المبعوثَ في العرَبِ حَفِيدَهُ محمداً ﷺ؛ إذْ قالَ عليه السلام في دُعائِه ما وَرَدَ عنْهُ في قولِه تعالى في سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

والمقصودُ بالرسولِ الذي سيَبْعَثُهُ اللهُ تعالى مُعَلِّماً هو محمدٌ ﷺ، ووُصِفَ المبعوثُ بوصْفِ الرسالةِ، وهو أعلى مِنْ وصْفِ النُّبُوَّةِ، فكُلُّ رسولٍ نَبِيٌّ، وليسَ كُلُّ نَبِيٍّ رسولاً، فثَبَتَ للمَسيّا المُنْتَظَرِ الوصْفانِ: النُّبُوّةُ والرّسالةُ، ولقدْ فَرِحَ عيسى عليه السلام لإيمانِ المرأةِ السّامريّةِ بالمَسيّا المُنْتَظَرِ، وإنّما كانَ فَرَحُهُ لمُوافَقَتِها هدَفاً أساسيّاً مِنْ أهدافِ رسالتِه، وهو نَشْرُ البِشارةِ بالمَسيّا في بلادِ اليهوديّةِ والسّامِرَةِ، فبشَّرَها بدُخولِ الجَنَّةِ؛ إذْ صارَ إيمانُها بالمَسيّا طريقَ خَلاصِها عنْدَ اللهِ تعالى، وبغيْرِ هذا الإيمانِ لنْ يَخْلُصَ أحَدٌ.

ويؤخذُ مِنْ قولِه عليه السلام للمرأةِ: «١٣ فَاعْلَمِي إذاً أَنّهُ بالإيمَانِ بِمَسِيَّا سَيَخْلُصُ كُلُّ مُخْتَارِي اللهِ» أمران:

الأول: هَدْمُ اعتقادِ اليهودِ بأنّ الخَلاصَ محْجُورٌ عليهِم ولو لمْ يعملوا صالحاً، كونُهمْ وأجيالِهِمْ شَعْباً مختاراً.

والثاني: الإرادةُ الإلهيّةُ في الاجتباءِ والاصطفاءِ المذكورَيْنِ في آخرِ سورةِ الحجِّ في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾** ﴾.

وبما أنّ معاني الألفاظِ الثلاثة: اصطفى، اجتبى، اختارَ، متقاربةٌ جدّاً، وتؤدّي إلى نتيجةٍ واحدةٍ وهي: أنّ الاصطفاءَ والاجتباءَ وهْبِيٌّ لا كَسْبِيٌّ، فصارت الفقرةُ السابقةُ: «١٣ فَاعْلَمِي إذاً أَنّهُ بالإيمَانِ بِمَسِيَّا سَيَخْلُصُ كُلُّ مُخْتَارِي اللهِ» كأنها نصٌّ في اصْطفاءِ محمدٍ ﷺ للرّسالةِ، واصْطفاءِ جيلِ الصّحابةِ رضي الله عنهم لِيَكُونُوا رفقاءَ المصْطَفَى رسولِه، واصطفاءِ الأُمّةِ الإسلاميةِ على سائرِ الأُمَمِ؛ إذْ إنهم هُمُ المُشارُ إليهمْ بـ: «مُخْتَارِي اللهِ»؛ أيْ: إنّ اللهَ تعالى اخْتارَ الصّحَابَةَ وأتباعَهمْ إلى يوْمِ القيامةِ ليكُونوا أُمَّةَ مُصْطَفاهُ ومجْتَبَاهُ نَبيِّه محمدٍ ﷺ، فاصْطَفى هذه الأُمَّةَ دونَ غيرِها منَ الأُمَمِ لتكُونَ شاهدةً على الناسِ كُلِّهمْ، ولأنّ أُمَّةَ محمدٍ ﷺ اختارتِ اللهَ الأحَدَ ليكُونَ ربَّها وإلهَها دونَ غيرِه.

وهذا كلُّهُ موافقٌ لآياتِ سورةِ الحجِّ المذكورة، وموافقٌ أيضاً للآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ الواردةِ في شأْنِ الصّحَابَةِ خُصوصاً رضي الله عنهم، والأُمّةِ الإسلاميةِ عُموماً، كقولِه تعالى في

سورةِ البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وهذا كلُّهُ وهذا كلُّه موافقٌ لآياتِ سورةِ الحجِّ المذكورة، وموافقٌ أيضاً للآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ الواردةِ في شأْنِ الصَّحابَةِ خُصوصاً رضي الله عنهم، والأُمّةِ الإسلاميةِ عُموماً، كقولِه تعالى في سورةِ البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾، وقوله سبحانه في سورةِ آلِ عمران: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾، وإنّ القارئَ المتمعِّنَ في هذه الآياتِ الكريماتِ لَيُدْرِكُ معنى كلامِ عيسى عليه السلام عن الاصطفاءِ الإلهيّ، والْخَلاصِ لِمُخْتارِي اللهِ المَشْروطِ بالإيمانِ بالْمَسيّا؛ فبالإضافةِ إلى أنّ الآياتِ قد نصَّتْ على إرادةِ اللهِ تعالى في الاصطفاء، فقد بيّنتْ أيضاً ضرورةَ العملِ الصالحِ، وأنّ الخَلاصَ والفَلاحَ مَرْجُوٌ لمَنْ آمنَ وعملَ صالحاً وأدّى العباداتِ وفعَلَ الخيْراتِ، وليس ذلكَ محجوراً على جِنْسٍ دونَ غيْرِه كما هي نظرة اليهود العبْرانيين، ولا مَقْصُوراً على معْتَقِدي الفداءِ الكَفّاريِّ بالذَّبيحةِ الإلهيةِ كما هي نظرة النصارى.

تَصْرِيحُ المسيحِ عليه السلام بِنُبُوّتِه وخُصُوصيّةِ رِسالتِه إلى بيْتِ إسرائيلَ فقَطْ، وإنْكارُه أنْ يكُونَ هو المَسيّا المُنْتَظَرَ:

جاءَ في الفَصْلِ ٨٢ النَّصُّ التّالي: «١٥ قالت المرْأةُ: لَعَلَّكَ أَنْتَ مَسيَّا أيُّها السَّيِّدُ؟ ١٦ أَجَابَ يَسُوعُ: إنّي حَقّاً أُرْسِلْتُ إلى بَيْتِ إسرائيلَ نَبِيَّ خَلاَصٍ ١٧ ولَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدِي مَسيَّا المُرْسَلُ مِنَ اللهِ لِكُلِّ الْعَالَمِ الّذي لأَجْلِه خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ».

توقّعَتِ المرْأةُ السّامِرِيّةُ مِنْ خِلالِ الحِوارِ معَ المسيحِ عليه السلام أنْ يَكُونَ هو نَفْسُهُ المَسيّا المُنْتَظَرَ، فبادَرَتْ بالاستفسارِ: «١٥ قالت المرْأةُ: لَعَلَّكَ أَنْتَ مَسيَّا أيُّها السَّيِّدُ؟»، وحُقَّ لها أنْ تَسْأَلَ احْتياطاً لِدِينِها، وخاصّةً أنّها عَرَفَتْ نُبُوّتَهُ، والمَسيّا إنّما

هو إنسانٌ نَبِيٌّ، فلا مانعَ في نظَرِها أنْ يَكُونَ المسيحُ عيسى عليه السلام هو المَسِيّا المُبَشَّرَ به، إلاّ أنّ المسيحَ عليه السلام رغْمَ اجْتماعِ وصْفَيْ النُّبُوَّةِ والرّسالةِ فيه صَرّحَ للمرأةِ بأنّهُ ليْسَ هو المَسِيّا المُبَشَّرَ به في التّوْراةِ، فجَلَّى لَها الحقيقةَ مُصَرِّحاً بنُبُوّتِهِ وخُصُوصيّةِ رسالتِه إلى قومِه بَنِي إسرائيلَ، وهذا موافقٌ تماماً لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

وكان أوْضحَ تصريحٍ له عن المَسِيّا قولُه: «١٧ ولَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدِي مَسِيَّا المُرْسَلُ مِنَ اللهِ لِكُلِّ الْعَالَمِ»؛ إذْ تَضَمّنَ تَصْرِيحُه هذا ثلاثةَ أمورٍ أَزالَ بها كُلَّ شُبْهَةٍ في شَخْصيّةِ المَسِيّا المُنْتَظَرِ، وهذه الأمور هي:

<u>الأمرُ الأوّلُ قولُه: «سَيَأْتِي»:</u> إذْ تَكَلَّمَ المسيحُ عيسى عليه السلام بصيغةِ المستقْبَلِ فقالَ: «سَيَأْتِي»، ويُفْهَمُ منْها جَزْماً أنّهُ عليه السلام ليْسَ هو المَسِيّا المبَشَّرَ به؛ لأنه كان وقتَ الحوارِ حاضراً وهو المتكلِّم، فلو كان هو المَسِيّا لكانَ قولُه: «سَيَأْتِي» عبثاً يتنزّهُ عنه العقلاءُ، فضْلاً عن الرسُلِ الكِرام المرْسَلِينَ لهدايةِ الخلْقِ إلى الحقِّ، وكان الأنسب أنْ يقولَ: أتيتُ، وهذه الصيغةُ الاستقباليةُ في إنجيلِ بَرْنابا بلفظ: «سَيَأْتِي»، هي نفْسُ الصيغةِ الاستقباليّةِ في الكلمةِ الواردةِ في آية سورة الصف: ﴿ **وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى** ﴾، ولا يوجدُ عاقِلٌ في الدنيا كلِّها يفسِّرُ كلمة: «سيأتي» بمعنى: إنّي أتيتُ في الماضي.

<u>الأمرُ الثاني قولُه: «بَعْدِي»:</u> إذْ يُفْهَمُ منْه أنّهُ ما دامَ عيسى عليه السلام في الأرْضِ فلنْ يأتيَ المَسِيّا، لأنّ مَجيءَ اللاحقِ مَرْهُونٌ بذَهابِ السّابقِ، وهذه الكلمةُ الواردةُ في إنجيلِ بَرْنابا بلفظ: «بَعْدِي»، هي نفْسُ الكلمةِ الواردةِ في آية سورة الصف: ﴿ **مِنۢ بَعْدِى** ﴾، ولا يَقْبَلُ أحدٌ يَحْتَرِمُ عَقْلَه ويَحْتَرِمُ ما وُضِعَتْ له اللغاتُ أنْ يُفَسِّرُ كلمة: «بَعْدي» بمعنى: الآنَ في حياتي.

وبهذا ثَبَتَ جَلِيّاً أنّ الأمريْنِ السابقيْنِ موافقان تمامَ الموافَقَةِ للقرآنِ الكريمِ في قولِه عَزَّ وجَلَّ في سورة الصفّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾.

<u>الأمرُ الثالثُ قولُه: «مَسيّا المُرْسَلُ مِنَ اللهِ لِكُلِّ الْعَالَمِ»:</u> إذْ صرّحَ عيسى عليه السلام بأنّ المَسيّا الرسولَ مُرْسَلٌ منَ اللهِ تعالى إلى العالَمِ كُلِّه، وبما أنّ رسالةَ المسيحِ خاصّةٌ بالإسرائيليّينَ فلنْ يَكُونَ هو المَسيّا المنتظَرَ، ومَنْ جعَلَ هذه بشارةً بعيسى نَفْسِه فقدْ حَكَمَ باجتماعِ النقيضَيْنِ، وهما: خُصوصيّةُ رسالتِه إلى بني إسرائيلَ وعالَميَّتُها، والعقولُ السليمةُ تأبى ذلك، أمّا إسنادُ عيسى عليه السلام العالَميّةَ إلى رسالةِ الرسولِ الآتي بَعدَه فهذا هو الحقُّ الموافقُ للقرآنِ الكريمِ في قولِه سبحانه وتعالى عنْ محمدٍ ﷺ: في سورة الأعراف: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾، وفي سورةِ سبأ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

المرأةُ السّامريّةُ آمنَتْ بالمسيحِ عليه السلام رسولاً لبَني إسرائيل، وبالمَسيّا المنتظَرِ رسولاً عالَميّاً، وتحوّلتْ فَوْراً إلى داعيةٍ للإيمانِ بهما:

جاءَ في الفَصْلِ٨٢ النَّصُّ التّالي: «١٩ حِينَئِذٍ تَرَكَتِ المَرْأةُ جَرَّتَها وأَسْرَعَتْ إلى المَدِينَةِ لِتُخْبِرَ بِكُلِّ ما سَمِعَتْ مِنْ يَسُوعَ».

وجاءَ في الفَصْلِ٨٣ النَّصُّ التّالي: «١٨ لأنَّ المرْأةَ لمّا دَخَلَتِ المَدِينَةَ أَثَارَتِ المَدِينَةَ بأسْرِها قائلةً: أيُّها القَوْمُ، تَعالَوْا وانْظُرُوا نَبِيّاً جَدِيداً مُرْسَلاً مِنَ اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ ١٩ وقصّتْ عليْهِمْ كلَّ ما سمِعتْ مِنْ يَسُوعَ».

لَمّا سَمِعَتِ المرْأةُ مِنْ عيسى عليه السلام البِشارةَ بالمَسِيّا المنْتَظَرِ المبَشَّرِ به، أَسْرَعتْ إلى أَهْلِ مَدِينَتِها تاركةً جَرّتَها وراءَها لِتُخْبِرَهُمْ ببِشارةِ المَسِيّا، فرَحِمَ اللهُ تلكَ المرْأةَ إذْ ظَنّتْ أنّ حَمْلَ جَرّتِها المَمْلُوءَةِ ماءً سيُؤخِّرُها عنِ الإسْراعِ في نَقْلِ البِشارةِ السّارَّةِ بالنّبِيِّ الآتي، فَتَرَكَتْها وراءَها، وكانَ عيسى عليه السلام على حَقٍّ إذْ فَرِحَ بإيمانِها وشَهِدَ لها بذلك: «١٢حِينَئِذٍ تَهَلَّلَ يَسُوعُ وقالَ: يَلُوحُ لِي أَيّتُها المَرْأةُ أَنّكِ مُؤْمِنَةٌ».

ما الذي خَلّصَ هذه المرأةَ مِن اختلافاتِ طائفتَيْ اليهودِ السّامِرِيّينَ والعِبْرانِيّين وتَكْفِيرِ بعْضِهِمْ بعْضاً!؟

إنّه الإيمانُ بالرّسالتَيْنِ معاً وبِوَصْفَيْهِما: خُصُوصِيَّةِ الرِّسالةِ العيسويّةِ الحاضرةِ، وعالَمِيَّةِ الرِّسالةِ المحمّديّةِ القادمةِ، وهذه العالَمِيَّةُ هيَ مَرْكزُ الدائرةِ في هذا النَّصّ، لأنّ عيسى عليه السلام طَلَبَ مِن المرأةِ السّامِرِيّةَ أنْ تُؤْمِنَ بالمَسِيّا محمدٍ ﷺ قَبْلَ ظُهُورِه، وصَرَّحَ لها بأنّ هذا المَسِيّا الآتي بَعْدَهُ رسُولٌ عالَميٌّ، فتحوّلَتِ المرأةُ السّامِرِيَّةُ مِنْ ناقلةٍ للمَاءِ إلى دَاعيةٍ للإيمَانِ بِنُبُوَّةِ عيسى عليه السلام، ومُبَشِّرةٍ بِنُبُوَّةِ المَسِيّا المُنْتَظَرِ محمدٍ ﷺ، وقَدّمَتِ المرْأةُ مبرِّراتِ صِدْقِها في دَعْوَتِها لقَوْمِها؛ إذْ حَدَّثَتْهُمْ: «١٩ وَقَصَّتْ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا سَمِعَتْ مِنْ يَسُوعَ».

ويُسْتفادُ منْ هذا الأسْلُوبِ الذي سَلَكَتْه المرأةُ لإقناعِ قومِها، أنّ الدّاعِيَةَ الصّادِقَ النّاجِحَ لا يتْرُكُ سَبيلاً يُقَرِّبُ النّاسَ إلى الحَقِّ ويُبْعِدُهُمْ عَنِ الضّلالِ إلاّ سَلَكَهُ، وهِيَ لا تَمْلِكُ أَكْثَرَ مِنْ أنْ تُحَدِّثَهُم بما رَأَتْ وَسَمِعَتْ، والدّليلُ على نَجاحِها مَجِيءُ الْجَمِّ الغَفِيرِ مِنْ أهْلِ السّامِرَةِ لِيَرَوا عيسى عليه السلام، ولِيَسْمَعُوا بِشاراتِه، وطَلَبُهُمْ مِنْه أنْ يَمْكثَ عندَهُم، وهذا يؤكِّدُ أَهميّةَ دَوْرِ المرْأةِ الدَّعَوِيّ في المجتمع.

<u>البِشارةُ الثالثةُ:</u> بِشارةُ عيسى عليه السلام بموْسِمِ الحَجِّ إلى مكَّةَ، وهو يُوبِيلُ المُسْلِمينَ السَّنَوِيّ:

جاءَ في الفَصْلِ٨٢ النَّصُّ التّالِي: «١٨ حِينَئِذٍ يُسْجَدُ للهِ في كُلِّ العَالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ حتّى أنَّ سَنَةَ اليُوبِيلِ التي تَجِيءُ الآنَ كُلَّ مِئَةِ سَنَةٍ سَيَجْعَلُها مَسِيَّا كُلَّ سَنَةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ».

<u>اليُوبِيلُ:</u> كلمةٌ عِبْريّةٌ معناها: النَّفْخُ بالبُوقِ، لأَنّهمْ كانُوا فِي سَنَةِ اليُوبِيلِ يَنْفُخُونَ بالأَبْواقِ يوْمَ الكَفّارةِ، وهيَ السّنَةُ التي تَلِي أُسْبُوعَ الأسابيعِ، أيْ سَنَةَ الخَمْسِين، وهيَ تاجُ النِّظامِ السَّبْتِي، وفِي هذه السَّنَةِ يَعُودُ الأشخاصُ والعَشائرُ إلى حالتِهمْ الأصليّةِ، فيُحَرِّرونَ العبيدَ الذينَ همْ مِنْ أصلٍ عِبْرانيّ ولوْ كانتْ قدْ ثُقِبتْ آذانُهم، ويَرُدُّونَ جميعَ الرّهائن والأراضي إلى أصحابِها الأصليّين(١٢).

وقدْ جاءتْ تفصيلاتُ سَنَةِ اليُوبِيلِ في سِفْرِ اللاّوِيِّينَ الأحبار٢٥و٢٧، وأكتفِي بذِكْرِ ما وردَ بخصُوصِه في الإصحاح٢٥ كما يلي: «٨وَتَعُدُّ لَكَ سَبْعَةَ سُبُوتِ سِنِينَ. سَبْعَ سِنِينَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَتَكُونُ لَكَ أَيَّامُ السَّبْعَةِ السُّبُوتِ السَّنَوِيَّةِ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ٩ثُمَّ تُعَبِّرُ بُوقَ الْهُتَافِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعَبِّرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ ١٠وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً، وَتَرْجِعُونَ كُلُّ إِلَى مُلْكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلُّ إِلَى عَشِيرَتِهِ ١١يُوبِيلاً تَكُونُ لَكُمُ السَّنَةُ الْخَمْسُونَ. لاَ تَزْرَعُوا وَلاَ تَحْصُدُوا زِرِّيعَهَا، وَلاَ تَقْطِفُوا كَرْمَهَا الْمُحْوِلَ ١٢إِنَّهَا يُوبِيلٌ. مُقَدَّسَةً تَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْحَقْلِ تَأْكُلُونَ غَلَّتَهَا ١٣فِي سَنَةِ الْيُوبِيلِ هذِهِ تَرْجِعُونَ كُلُّ إِلَى مُلْكِهِ».

ويكونُ اليُوبِيلُ مرّةً واحدةً في كُلِّ خمسينَ سَنَةً عنْدَ الإسرائيليّينَ، وهو فِي كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ عنْدَ الرّومان، ولكنّ المسيحَ عليه السلام صرّحَ بأنَّ المَسِيّا المنتظَرَ يَجْعَلُ يُوبِيلَ أُمَّتِه سَنويّاً، وظاهِرٌ أنّ المقصودَ باليُوبِيلِ السَّنَوِيِّ لأُمَّةِ الْمَسِيّا مَوْسِمُ الحَجِّ الإسلاميِّ الذي

يكُونُ في كُلِّ عامٍ مرّةً واحدةً فقطْ، فلا يَجُوزُ أنْ يكُونَ يُوبِيلُ المسلمينَ مرّةً في كُلِّ مئةِ عامٍ كيُوبِيلاتِ الرُّومانِ، ولا في كُلِّ خمسينَ عاماً كيُوبِيلاتِ الإسرائيليّينَ؛ لأنّ في ذلك تعطيلاً لفريضةِ الحَجِّ السَّنَوِيَّةِ، ولا يَجُوزُ أيضاً أنْ يَجْتَمِعَ يُوبِيلانِ في العامِ الواحدِ؛ لأنّ في ذلك إخْراجاً لِفريضةِ الحَجِّ في أَحَدِهما عنْ ميقاتِها الزمانيِّ، فصارَ يوبيلُ أتْباعِ الْمَسيّا مُقَيَّداً بالميقاتِ الزَّمانيِّ القَمَرِيِّ السَّنَوِيِّ والشَّهْرِيِّ، وبالميقاتِ المكانيِّ، وهذا التّقْيِيدُ لهذهِ العبادةِ بمواقِيتِها المذكورةِ هو المنْصوصُ عليه في قولِه تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

وإنّي أسالُ المنْكِرينَ: مَنْ هو مِنَ الأنبياءِ السّابقينَ النّبيُّ الذي فُرِضَ على أُمّتِه يُوبِيلٌ سَنَوِيٌّ!؟

أليْسَ محمدٌ ﷺ النّبيَّ الوحيدَ الذي يَجِيءُ يُوبِيلُ أُمّتِه مرّةً في كلِّ سَنَةٍ قَمَرِيّةٍ فتَحتفِلُ أُمَّتُه بموْسِمِ الحَجِّ وفريضَتِه السّنويّةِ، ولا يَلْتفتُونَ إلى اليُوبِيلِ المِئَوِيِّ الرّومانيِّ ولا إلى الخَمْسِينيِّ الإسرائيليِّ!؟

ثمّ إنّ كلامَ المسيحِ عليه السلام معَ المرْأةِ السّامِرِيّةِ عن اليُوبِيلِ الجديدِ كانَ على صيغةِ الاستقبالِ: «١٨ حينَئذٍ يُسْجَدُ للهِ في كُلِّ العَالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ حتّى أنَّ سَنَةَ اليُوبِيلِ التي تَجِيءُ الآنَ كُلَّ مِئَةِ سَنَةٍ سَيَجْعَلُها مَسِيَّا كُلَّ سَنَةٍ في كُلِّ مَكَانٍ»، فكُلُّ عبارةٍ مِنْ عِباراتِ هذه الفقرةِ صَرِيحةٌ بأنّ المسيحَ عليه السلام تحدَّثَ عنْ نَبِيٍّ يأتي بَعْدَهُ، وآخِرُ هذه الفقراتِ أجْلاها: « سَيَجْعَلُها مَسِيَّا كُلَّ سَنَةٍ في كُلِّ مَكَانٍ».

ولكنْ ما معنَى أنْ يَكُونَ هذا اليُوبيلُ الإسلاميُّ السَّنَويُّ «فِي كُلِّ مَكَانٍ» علْماً أنَّ مَناسِكَ الحَجِّ مُقَيَّدَةٌ بمواقيتِها المكانيّةِ التي لا تُؤَدَّى إلاّ فيها؟

أقولُ واللهُ تعالى أَعْلَمُ: إنّ مَوْسِمَ الحَجِّ السَّنويّ يأْتيهِ المسلمونَ مِنْ مُخْتلفِ أقطارِ الأرضِ، وبَعْدَ أداءِ المَناسِكِ يَرْجِعُ الحُجّاجُ إلى بُلْدانِهِمْ نافِضِينَ عنهم غُبارَ الذُّنوبِ، حاملينَ معهم الهدايا للأهلِ والأقرباءِ والأصدقاءِ والجيرانِ، فَيَحْتَفِلُ هؤلاءِ كُلُّهم برجوعِ حاجِّهِم، فتمتلئُ بلادُ المسلمينَ فرَحاً وسُروراً بأمْرَيْنِ:

الأول: رُجُوعُ الحاجِّ مِنْ سَفَرٍ بعيدٍ كان في طاعةِ ربِّهِ؛ إذْ وُفِّقَ لأداءِ ما افترَضَهُ اللهُ عليه.

الأول: رُجُوعُ الحاجِّ مِنْ سَفَرٍ بعيدٍ كان في طاعةِ ربِّهِ؛ إذْ وُفِّقَ لأداءِ ما افترَضَهُ اللهُ عليه.

والثاني: رُجُوعُ الحاجِّ سليماً معافىً في بَدَنِه ومالِه وعِرْضِه؛ إذْ إنّ السَّفَرَ مَظَنَّةُ الأخطارِ على هذه الكُلِّيّاتِ.

وبما أنّ هذا المَشْهَدَ يَتَكَرّرُ سَنَوِيّاً، ويَتَجَدَّدُ فيه الفرَحُ والسُّرورُ في كُلِّ بلادِ المسْلِمينَ؛ فكأَنّ الحجَّ صارَ يُوبيلاً سَنَوِيّاً لأتباعِ الْمَسِيّا، لا في مواقيتِه المَكانيّةِ فحَسْب، بلْ في كُلِّ مكانٍ فيه أتْباعُه، أوْ كَمَا عَبّرَ عنْ ذلك عيسى عليه السلام: « سَيَجْعَلُها مَسِيَّا كُلَّ سَنَةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ».

ولا أستطيعُ أنْ أَنْعَتَ المُصرّينَ على عَدَمِ تفسيرِ هذه البِشارةِ بمحمّدٍ ﷺ وبأُمَّتِه وببَلْدَتِه مَكّةَ المُكَرّمَةِ إلاّ بما نَعَتَهُمُ اللهُ تعالى به في كِتابِه الكريمِ؛ إذْ وردَ فيه نَعْتُهُمْ بكِتْمانِ الحَقِّ في عشرةِ مواضعَ، منها قولُه تعالى في سورةِ البقرةِ: ﴿ **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ**

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

المطلبُ الثالثُ: المُقَارَنةُ بيْنَ إنْجِيلَيْ بَرْنابا ويُوحَنّا في نَصِّ حِوارِ المَسِيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ

ذُكِرَتْ قصّةُ حِوارِ المَسيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ في إنجيلِ بَرْنابا، ولمْ تُذْكَرْ في الأناجيلِ المعترَفِ بها عند النصارى إلاّ في الإنجيلِ الرابعِ إنجيلِ يُوحَنّا، وأغفلتْها الأناجيلُ الثلاثةُ الأُخرى: مَتّى ومَرْقُس ولُوقَا، وفي اعتقادي أنّ هذا الإغفالَ مقصودٌ؛ لِمَا فيها منَ البِشارةِ الصّريحةِ بمحمدٍ ﷺ وبأُمّتِه المُجْتباةِ.

وأمّا بالنسْبةِ للإنجيلِ الرابعِ المسمَّى: إنجيل يوحَنّا، فقد اعترف كتّابُ القاموس بأنّ يُوحَنّا الحواريَّ وإنْ لمْ يُذْكَرْ اسْمُهُ جهراً في البِشارةِ الرابعةِ، لكنّهُ يتبوّأُ مكاناً سامياً فيها[١٣].

ونحنُ نعتقدُ براءَةَ يوحَنّا بنِ زَبْدِي صاحبِ المسيحِ عليه السلام وحَوَارِيِّهِ منْ هذا الإنجيلِ؛ إذْ كانتْ فِرَقٌ كثيرةٌ في القرْنِ الثاني تُنْكِرُ نِسْبَةَ هذا الإنجيلِ إليهِ وتراهُ مُزَوَّراً عليهِ، وإليْها استندَ المحقِّقونَ القدامى الذين أخذَتْ بِرَأْيِهِمْ دائرةُ المعارفِ البريطانيةُ، فجَزَمتْ بأنّ يوحنّا الحَواريَّ رسولَ المسيحِ لمْ يكتبْ هذا الإنجيلَ، وإنما كَتَبَه أَحَدُ طلاّبِ مَدْرَسَةِ الإسكندرية؛ لِيُضَادَّ الحواريّينَ المعتقِدينَ بَشَرِيَّةَ المسيحِ[١٤].

ورغمَ سيطرةِ الهَوَى على كاتبِ هذا الإنجيلِ الرابعِ إلاّ أنّه غَفَلَ عنْ بعضِ المواضِعِ في قِصّةِ الحوارِ؛ فتركَها دُونَ تحريفٍ، فصارتْ هذه المواضِعُ المحرَّفَةُ وغيْرُ المُحَرَّفَةِ مادَّةَ الكلامِ في مطْلَبِ المقارنة هذا، ومِنْ خلالِ دراستي للقصّةِ الواحدةِ في إنجيلَيْ بَرْنابا ويوحَنّا؛ وجدْتُ بينهما في مسائلِ العقيدةِ نقطةَ اتِّفاقٍ، ونقطةَ اختلافٍ، وأربعَ نقاطٍ أَثْبَتَها برنابا وحَذَفَها يوحنّا، والكلام فيها كما يلي:

نقطةُ الاتفاقِ بيْنَ النصّيْنِ: وصْفُ المرأةِ للمسيحِ عليه السلام بأنّه نَبِيٌّ، وإنْسانٌ رَسُولٌ:

فقدْ وردَ في إنجيلِ بَرْنابا٨١: «١٥ أَجَابَ يَسُوعُ: اذْهَبِي وادْعِي زَوْجَكِ وإِيّاكُمَا أُعْطِي لِتَشْرَبَا ١٦ قَالَتِ المَرْأَةُ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ ١٧ أَجَابَ يَسُوعُ: حَسَناً قُلْتِ الْحَقَّ لأَنّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ والّذِي مَعَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ ١٨ فَلَمّا سَمِعَتِ الْمَرْأَةُ هَذَا اضْطَرَبَتْ وَقَالَتْ: يَا سَيِّدُ، أَرَى بِهَذَا أَنّكَ نَبِيٌّ».

وورد فيه أيضاً في الفصل٨٣: «١٨ لأنّ المرأةَ لَمّا دَخَلَتِ المدينةَ أثارتِ المدينةَ بأسْرِها قائلةً: أَيّها القومُ! تعالَوْا وانظُروا نبيّاً جديداً مُرْسَلاً من اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ».

وورد في إنجيل يوحنّا٤: «١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا ١٧أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ ١٨لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ ١٩قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ ٢٨فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: ٢٩هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟ ٣٠فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ ٣٤قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ».

فالنّاظِرُ في نصِّ الكاتبيْنِ بَرْنابا ويُوحَنّا في هذا الموضعِ، لا يَجِدُ بيْنَهما فَرْقاً؛ فكِلاهُما أَثْبَتَ بَشَرِيّةَ المسيحِ عليه السلام ونُبُوّتَهُ ورسالتَهُ، والعباراتُ في الإنجيليْنِ متقاربةٌ جدّاً، ويهمّني منْها قولُ المرْأةِ:

ففي روايةِ بَرْنابا: «فَلَمّا سَمِعَتِ الْمَرْأَةُ هَذَا اضْطَرَبَتْ وَقَالَتْ: يَا سَيِّدُ، أَرَى بِهَذَا أَنّكَ نَبِيٌّ ... لأنّ المرأةَ لَمّا دَخَلَتِ المدينةَ أثارتِ المدينةَ بأسْرِها قائلةً: أَيّها القومُ! تعالَوْا وانظُروا نبيّاً جديداً مُرْسَلاً من اللهِ إلى بيْتِ إسرائيلَ».

وفي رِوايةِ يُوحَنّا: «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟ فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ».

لقدْ تطابقتْ عباراتُ المرْأةِ في الروايتيْنِ، فصارتْ عِباراتُها فيهما شهادةً مؤكَّدَةً بالوصْفيْنِ معاً للمسيحِ عليه السلام، أقصدُ: نُبُوّتَهُ ورسالتَهُ، ولا أريدُ إعادةَ ما قلتُهُ سابقاً مِنْ أنّ عَدَمَ اعتراضِ المسيحِ عليها وسُكوتَه على هذيْنِ الوصْفَيْنِ لهُ بالنُّبُوّةِ والرّسَالَةِ إقرارٌ لحقيقةِ مُقتضاهما، ولكنْ أقولُ هنا: مَهْما حاولَ المُحرِّفونَ إخفاءَ تلاعُبِهِمْ بالنصِّ الأصْلِيِّ، لكنّ اللهَ تعالى يَجْعَلُهُمْ يَغْفُلونَ عنْ أشياء تُظْهِرُ تحريفَهمْ، ومعلومٌ أنّ الطالبَ الإسكندريَّ إنما ألّفَ هذا الإنجيلَ لإثباتِ ألوهيةِ المسيحِ عليه السلام، فبقاءُ هذهِ العباراتِ التي هي جَزْماً ضدٌّ مقصودِه في إنجيلِه؛ شاهدٌ على نُبُوّةِ عيسى المسيحِ وبَشَرِيّتِه، وبراءتِه مِنْ دَعْوَى الإلهيّةِ والبُنُوَّةِ للهِ الأَحَدِ.

ويلاحَظُ هنا أنّه رُغْمَ تَطابُقِ النصّيْنِ في وصْفِ المسيحِ عليه السلام بالنُّبُوَّةِ والرّسالةِ مِنَ اللهِ تعالى، إلاّ أنّ كاتبَ إنجيلِ يُوحنّا يُصِرُّ أيضاً على التحريفِ بالنُّقْصانِ؛ إذْ لم يَذْكُرْ خُصُوصيّةَ رسالتِه إلى بيْتِ إسرائيلَ، وذكَرَ مكانَها عبارةً عامَّةً لا تَدُلُّ على الخصوصيّةِ فقال: « أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ». وذلكَ لأنّ عبارةَ: «مُرْسَلاً مِنَ اللهِ إلى بَيْتِ إسرائيلَ»، تُعارِضُ الفِكْرَ البُولُسِيَّ، وكانت رسائلُ بولُسَ قد انتشرتْ قَبْلَ الأناجيلِ، فَحَرَصَ أتباعُه على نَشْرِ عقيدتِه والالتزامِ بها، ومحاربةِ ما يناقضُها، وقد أَخذَ كاتبُ إنجيلِ يُوحَنّا على نفْسِه عَهْداً بالإخلاصِ لبُولُسَ مِنْ أوّلِ فَقَراتِ إنجيلِه؛ إذْ قالَ في الإصحاحِ الأول: «[1]فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ [2]هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ [3]كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ».

وكان بولُسُ هو الذي نَسَخَ في رسائله خُصوصيّةَ رسالةِ المسيحِ عليه السلام إلى قوْمِه الإسرائيليّينَ، ونَقَلَ الدّعْوةَ العيسويّةَ مِنْ دَعوةٍ خاصّةٍ ببني إسرائيلَ إلى دَعْوةٍ عالميّةٍ لِيُحاربَ محمداً ﷺ الذي به تَتَبَارَكُ جميعُ قبائلِ الأرضِ وأُمَمِ العالَمِ، ولِيُحاربَ عيسى عليه السلام الذي بشَّرَ بمحمدٍ ﷺ (١٥).

ولَمّا كانتْ العباراتُ المُشارُ إليْها تَنْسِفُ فِكْرَ بُولُسَ وتلميذِهِ المُخْلِصِ يُوحنّا؛ لذلكَ تعمّدَ حَذْفَها مِنْ روايته.

نقطة الاختلاف بيْن النصّيْن: وصْفُ المرأةِ للمسيحِ عليه السلام بأنّه عِبْرانيٌّ أمْ يَهُوديٌّ:

ورَدَ في إنجيلِ بَرْنابا ٨١: «٩ فَقَالَ يَسُوعُ لِلْمَرْأَةِ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ ١٠ فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: أَلاَ تَخْجَلُ وَأَنْتَ عِبْرَانِيٌّ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي شرْبَةَ مَاءٍ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟».

وورَدَ في إنجيلِ يُوحنّا ٤: «٧فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ! ٩فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟ لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ».

فهذه العبارةُ في إنجيلِ يُوحَنّا: «وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ» تُناقِضُ ما في إنجيلِ بَرْنابا: «وَأَنْتَ عِبْرانِيٌّ»، وعبارةُ يوحنّا غلطٌ عَقَدِيٌّ خطيرٌ؛ لما يلي:

أوّلاً: لأنّ موسى عليه السلام جاءَ بديانةِ التوحيدِ الخالصِ لله تعالى، فلمّا حصلَ ارتدادُ بني إسرائيلَ بعْدَ موتِ سليمانَ عليه السلام وسَبْيُهُم وتشْريدُهُم على أيدي الوثنيّينَ الفُرْسِ والرومانِ؛ أرادوا الحِفاظَ على جِنْسِهِمْ مِنَ الذَّوَبانِ بغيْرِهِم، فاخترع الأحبارُ الديانةَ اليهوديةَ العُنْصُرِيّةَ الضَّيِّقَةَ، وربطوها بالإلهِ يَهْوَهْ، وكَتبوا توراتَهمْ بهذه الروحِ اليَهْوَهِيّةِ، وبالغوا في إظهارِ يَهْوَهْ الإلهِ الجديدِ على المسْرَحِ وربْطِهِ بموسى عليه السلام لأمْرَيْنِ:

[أ] لإظهارِ الاستمراريةِ الدّينيةِ والتاريخيةِ بيْنهم وبيْنَ موسى عليه السلام، إذْ أَبْـرزُوه على أنّه رسولُ يَهْوَهْ، وكتبَ الأحبارُ في توراتِهم في سِفْرِ الخروج٣: «[١٥]هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَـيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ».

[ب] للدَّمْجِ بيْن الإسرائيليّةِ كجِنْسٍ وبيْن اليهوديّةِ كدينٍ قوميٍّ مخترَعٍ، بحيـثُ يتلاشى الفَرْقُ بيْنَهما؛ إذْ صارَ الإلهُ يَهْوَهْ إلهَ الفريقيْنِ الإسرائيليّينَ واليهودِ، لأنّـه ابتداءً إلهُ الآباءِ: «إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ».

ولقدْ خُيِّلَ لهؤلاءِ الكَتَبَةِ أنهم استطاعوا بذلكَ تثْبيتَ نظريّةِ الانتمـاءِ لموسـى عليه السلام، ولكنّ المحقِّقينَ أَثْبَتُوا في بُحوثِهم العِلْميّةِ الفرْقَ الكبيرَ زمنيّاً وعَقديّاً بيْنَ ديانتِه ديانةِ جدِّه إسرائيل عليه السلام وبيْن ديانةِ يَهْوَهْ، وكان القرآنُ الكريمُ قدْ سبَقهمْ إلى ذلك؛ إذْ ميّـزَ في مواضعَ كثيرةٍ من خطابِه لهم بيْن الإسرائيليّينَ وبيْنَ اليهودِ، فاسـتعملَ كلمـةَ: «بني إسرائيلَ» في مواطن الرِّضا والعَفْوِ والمدْحِ والتفـضيلِ، واسـتعملَ كلمـةَ: «يهود» في مواطن الذَّمِّ والغضَبِ والسّخطِ واللعنةِ والانتقامِ، وبناءً عليه يكون الإلهُ المخترَعُ يَهْوَهْ إلهَ اليهودِ حقّاً، وليس إلهَ موسى والأنبياءِ الإسرائيليّينَ مِنْ بَعْدِه الذين آخِرُهُمْ عيسى عليه السلام(١٦).

وبهذا ثَبَتَ أنّ موسى عليه السلام وأسْلافَه لمْ يكونوا يهوداً؛ إذْ كيف يكونُونَ على ديانةٍ محرَّفَةٍ اخْتُرِعتْ بعدَهم بعِدّةِ قرون!؟ والحقُّ أنّهم وآخِرَهُمْ عيسى عليه السلام كانوا موحِّدينَ لله تعالى على دِينِ الإسلامِ، وتابعينَ لشريعةِ توراةِ موسى عليه السلام، وعـاملينَ بأحكـامِ شَرِيعتِها، وقد شَهِدَ اللهُ تعالى لهمْ بذلكَ فسمّاهمْ مسْلمينَ، ولمْ يُسَمِّهم يهـوداً، فقـال سبحانه في سورةِ المائـدة: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ** ﴿٤٤﴾ ﴾.

ثانياً: أنّ عيسى عليه السلام دَعا قومَهُ الإسرائيليّينَ إلى الإسلامِ، وبشَّرَهم بِنُبُوّةِ محمـدٍ ﷺ،

فكَذّبوه واتّهموهُ بالسِّحْرِ، قال تعالى في سورة الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

فآمنَ بالمسيحِ عيسى عليه السلام قِلّةٌ من بني إسرائيلَ، وهم الحواريّونَ والتلاميذُ، وكَفَرَ به الغالبيّةُ العُظمى منْ بني إسرائيلَ، وهم اليهودُ وأحبارُهم الذين رَفَضُوا الإيمانَ به لِسببيْن:

أولهما: لأنه لمْ يكنْ يهودياً على دِينِ يَهْوَهْ، ولا عاملاً بتوراةِ الأحبارِ المحرّفَةِ وشريعتِها العنصريّةِ، وإنما كان نبيّاً مصدّقاً للتوراة الموسويّةِ، وعاملاً بها، فأرادَ ردّهم إلى أحكامِ شَريعتِها الإلهيّةِ، وهم لا يُريدونَ الالتزامَ بها.

وثانيهما: لأنه بشَّرهم بختمِ النُّبُوّاتِ بالمَسيّا الإسماعيلي، واليهودُ وأحبارُهم الحاسِدون يُريدونَهُ مَسيّا إسرائيليّاً.

فلأجْلِ هذينِ السببيْنِ رفَضُوا دِينَ اللهِ الإسلامَ، ورَفضُوا النّبيَّ الذي دَعاهمْ إليه، فوُصِفوا بالظالمينَ.

ثالثاً: أنّ عيسى عليه السلام منْ ذُرّيةِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليه السلام، وقدْ شَهِدَ اللهُ تعالى لهمْ بالإسلامِ الحنيفِ فقالَ سبحانه في حقّهم في سورة البقرة: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ

وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

وقال عزّ وجلّ في سورة آل عمران: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

وبما أنّ الأنبياءَ بعْدَ إبراهيم عليه السلام كُلّهمْ جاءُوا مِنْ ذُرّيّتِه، فثبَتَ أنّهمْ كانوا على دِينِه، أيْ إنّهمْ حُنَفاءُ مسْلِمونَ، ولمْ يَرِدْ في القرآنِ الكريمِ كلِّه أنّ نبيّاً مِنْ أنبياءِ بَنِي إسرائيلَ كانَ على اليهوديّة، وإنما وردَ على لسانِهمْ جميعاً أنّهم كانوا على الإسلام ملّةِ جَدِّهم، وبما أنّ آخرَهُمْ وخاتمَهمْ عيسى عليه السلام؛ فقدْ كانَ على ما كانوا عليه، فهو نَبِيٌّ مسْلمٌ كأسلافِهِ وأجْدادِه يعقوبَ وإسحاقَ وإبراهيمَ عليهم السلام.

رابعاً: أنّ الدينَ المرْضِيَّ للهِ تعالى هو دِينُ الإسلامِ، وإذا كانَ اللهُ تعالى لمْ يَقْبَلْ مِنْ أحدٍ أنْ يَدِينَ بدينٍ غيرِ ما ارْتضاهُ، فهلْ يَقْبَلُ ذلكَ منْ أنبيائِه الذينَ همْ صَفْوةُ خَلْقِه ومصْطَفَوْهُ ومُبَلِّغو رسالاتِه، وقد قال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾. وإنّ الله تعالى قد شَهِدَ للحواريّينَ أتباعِ عيسى عليه السلام وأنصارِه بأنّهمْ كانوا على الإسلامِ، فقالَ تعالى في سورة آلِ عمران: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾. وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

فيمتنعُ في العَقْلِ أنْ يكونَ الحواريّونَ على الإسلامِ والتوحيدِ، ويكونَ نبيُّهمْ ومعلّمُهمْ على دينِ اليهوديةِ العنْصُريِّ القوْميِّ الضيّقِ، وهل يُعقلُ أنْ يكون التابعُ على دينٍ الحقِّ والمتبوعُ على دينِ الباطل!؟

خامساً: أنّ السّامريّينَ أيضاً يهودٌ، فيُقال: يهوديٌّ سامريٌّ ويهوديٌّ عبْرانيٌّ، فالسّامريّونَ يؤمنونَ بوحْدانيّةِ الإلهِ، وبأنّ موسى عليه السلام رسولُ اللهِ تعالى وكليمُه، ويَعُدّونهُ أفضلَ الأنبياءِ، ويُعظّمونَ يومَ السبْتِ فلا يَعْملونَ فيه، وتَضمُّ التوراةُ السّامريّةُ أسفارَ موسى الخمسةَ، وأعْيادُهُمْ نفسُ أعيادِ اليهودِ العبْرانيّينَ، وإنّما يُخالفونهُمْ في تقْديسِ جبَلِ جرزيمَ، ولا يعترفونَ بقدَاسةِ أورشليمَ، وجدُّهم الأعلى النبيُّ يعقوبُ عليه السلام، كما هو جدُّ بقيّةِ اليهود الإسرائيليّين، وإنما احتقرَهُمُ العبْرانيّونَ

لاختلاطِ أنسابِهمْ بنَسْلِ الوثنيّينَ(١٧).

وبما أنّ كاتبَ إنجيلِ يوحنّا قد نصَّ في سياقِ الحوارِ على انتماءِ السّامريّينَ إلى بني إسرائيل، إذْ وردَ فيه: «١١قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، لاَ دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ ١٢أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟»؛ فبهذا النصِّ ظهرَ جليّاً تلاعبُ الهَوَى النفْسيِّ بكاتبِ إنجيلِ يُوحَنّا؛ إذْ وَصَفَ المسيحَ بأنّه يهوديٌّ ليُخْرِجَ السّامريّينَ منْ طائفةِ اليهودِ، فكأنّ العلاقةَ بيْنهما علاقةُ تضَادٍّ: سامريٌّ أو يهوديٌّ، وهذا غَلَطٌ فاحشٌ، والصوابُ أنّ اليهوديَّ السّامريَّ يقابِلُه اليهوديُّ العبرانيُّ، فكان بَرْنابا أدقَّ لفظاً في هذا الموضعِ إذْ وردَ فيهما ما يلي:

نصُّ بَرْنابا: «فَقَالَ يَسُوعُ لِلْمَرْأَةِ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ! فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: أَلاَ تَخْجَلُ وَأَنْتَ عِبْرَانِيٌّ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي شرْبَةَ مَاءٍ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟».

نصُّ يوحَنّا: «فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ! فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟».

فعلى حسَبِ نصِّ بَرْنابا أنّها قالتْ لهُ: «وَأَنْتَ عِبْرَانِيٌّ»، بينما على حسَبِ نَصِّ يُوحَنّا قالتْ: «وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ»، والعِبْرانيّةُ جِنْسٌ، واليهوديّةُ دِينٌ مبتدَعٌ وعقيدةٌ باطلةٌ، ولا يُنْكِرُ أحدٌ أنّ مريمَ أمَّ عيسى المسيحِ عِبْرانيّةٌ إسرائيليّةٌ، وإليْها نُسِبَ ابنُها، فقيلَ لهُ: عيسى بْنُ مرْيَمَ، وكثيراً ما تَنْسِبُهُ كُتُبُ العَهْدِ الجَديدِ إلى داودَعليه السلام فيقولونَ عنْهُ: ابْنُ دَاودَ، لأنّ إليه ينْتَهِي نَسَبُ أُمِّهِ مريمَ، فثَبَتَ على يُوحَنّا جَهْلُه بدِينِ عيسى الصحيحِ، وجهْلُهُ بالفِكْرِ اليهوديِّ، وخلْطُه بيْنَ الجِنْسِ والدِّينِ؛ إذْ جَعَلَ الدِّينَ اليهوديَّ المخترَعَ جِنْسِيّةً، وهذا يؤكِّدُ لي تماماً قولَ المحقِّقينَ القدامى ببراءةِ يُوحَنّا الحَوَارِيِّ منَ الإنجيلِ الرابعِ، وأنّ كاتِبَهُ هو الطالبُ الفلْسفِيُّ الدّارِسُ اللاهوتَ في مَدْرسةِ الإسكندريةِ على مذْهبِ بُولُسَ، وأنّه لا يَعْرِفُ عيسىعليه السلام ولمْ يلْتَقِ به.

المواضِعُ المحْذوفةُ منْ قِصّةِ الحِوارِ بروايةِ يُوحَنّا أربعةٌ:

حَذَفَ يُوحَنّا أربعةَ مواضعَ ذَكَرَها بَرْنابا، ولها أهمّيّةٌ كُبْرى في السِّياقِ، وقد جاءَ توْضيحُها كما يلي:

الموضعُ الأوّلُ: حَذْفُ كاتبِ إنجيلِ يُوحَنّا تَوْبيخَ المسيحِ لِبلادِ اليهُوديّةِ وأهْلِها ودُعاءَه عليها بالوَيْلِ

فقدْ ذَكَرْتُ في الدِّلالةِ الخامسةِ أنّ المسيحَ عليه السلام شَهِدَ على اليهودِ بالنّزعةِ المادّيّةِ الجارفةِ الصّارفةِ لهمْ عَنِ الدِّينِ، كما يلي: «فمَنْ هُمُ السّاجِدُونَ الحقيقيّونَ؟ حينَئِذٍ تَنَهّدَ يَسُوعُ وبَكَى قائلاً: ويْلٌ لَكِ يا بِلادَ اليهوديّةِ لأنّكِ تَفْخَرينَ قائلةً: هَيْكَلُ الرّبِّ هَيْكَلُ الرّبِّ وتَعيشينَ كَأَنّهُ لا إلهَ مُنْغَمِسَةً في المَلَذّاتِ ومَكاسِبِ العالَمِ. ثمّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وقَالَ: ولكنْ صَدّقيني إنَهُ يَأْتي وقْتٌ يُعْطي اللهُ فيهِ رَحْمَتَهُ في مَدينَةٍ أُخْرَى ويُمْكِنُ السُّجُودُ لهُ في كُلِّ مَكانٍ بالْحَقِّ ويَقْبَلُ اللهُ الصَّلاةَ الحَقيقيّةَ في كُلِّ مَكانِ رَحْمَتِه. حينَئِذٍ يُسْجَدُ للهِ في كُلِّ العالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ».

ويلاحَظُ أنّ توبيخَهُ عليه السلام اليهودَ ودُعاءَه عليهم بالويلِ وقعَ بَعْدَ سؤالِ المرأةِ عنْ مكانِ السّجودِ الحقيقيِّ وقَبْلَ جوابِه لها، فهو توْبيخٌ ودعاءٌ معترِضٌ، وفاصلٌ مقصودٌ؛ ليَجْذِبَ المسيحُ عليه السلام اهتمامَ المرأةِ بالجوابِ، ويَشُدَّ انتباهَها إليْه، وكأنّهُ تمهيدٌ لنَسْخِ القِبْلةِ، أيْ ليكونَ بيانُه لنسْخِ القِبلةِ مبرَّراً بانحرافِ اليهودِ فتُصدِّقَ به المرأةُ.

أمّا كاتبُ يُوحَنّا العاشقُ لِصهْيَوْنَ فلمْ يُعْجِبْهُ وصْفُ بلادِ اليهوديةِ وأهلِها بالابتعادِ عنِ اللهِ تعالى، والانغماسِ في مَلَذّاتِ العالَمِ؛ فَحَذَفَه وصرّحَ بأنّه لا خَلاصَ إلاّ مِنْ جهةِ اليهودِ، وهذا يؤكِّدُ لي أيضاً الروحَ اليهوديةَ لكاتبِ هذا الإنجيلِ الرابعِ، إذْ جاءَ فيهِ جوابُ المسيحِ عليه السلام للمرأةِ بعدَ سؤالِها له مباشرةً دُونَ توْبيخٍ، كما يلي: «آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ

فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ».

وكيفَ لا تُفْهَمُ مِنَ النّصِّ هذه الروحُ اليهوديةُ للكاتبِ والحال أنّه صرّحَ بأنّ مَنْ لمْ يكنْ يهودياً لا خَلاصَ له، فقال: «لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ»، وتأثّرَ مفسِّرو الكتابِ المقدّسِ في تفسيرِهمْ برأْيِ يوحَنّا فقالوا: «وكانَ اللهُ قدْ وعدَ بأنْ تتباركَ كلُّ الشُّعوبِ والأُمَمِ بجنْسِ اليهودِ»(١٨).

وتناسى هؤلاء المفسّرون ما في سِفْرِ التثنية٣٢ من نَفْسِ طَبْعتِهم بخصوص هؤلاء الذين سَيُبَارِكُونَ العالَم: «١٥فَسَمِنَ بَنُو إسرائيلَ وَرَفَسَوا. سَمِنُوا وَغَلُظُوا وَاكْتَسَوْا شَحْمًا! فَرَفَضَوا الإِلهَ صَانِعَهمْ، وتَنَكّروا لصَخْرَةِ خَلاَصِهِمْ. ١٦أَثَارُوا غَيْرَتَهُ بآلِهَتِهم الغَرِيبةِ، وَأَغَاظُوهُ بِأصنامهم الرِّجْسَةِ. ١٧قدَّموا مُحْرَقاتٍ لأَوْثَانٍ لَيْسَت هيَ اللهَ. لآلِهَةٍ غَرِيبةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا بلْ ظهرتْ حَدِيثاً»(١٩).

وقال كتّابُ القاموس تحت عنوان: ازدياد العِداءِ له، أيْ لعيسى عليه السلام: «فنَمَتْ المقاومةُ ونَما عِداءُ حكّامِ اليهودِ وقادتِهم له، وسارَ حقْدُهمْ عليه شَططاً منْ سَيِّءٍ إلى أسوأ، فقامُوا بكلِّ حِيلَةٍ ووسِيلَةٍ لكيْ يُوقِعوهُ في فِخاخِهم حتّى يُحَطِّموا سيطرتَه على الجماهيرِ، وقوّةَ تأثيرِه عليهِمْ، ولكيْ يَجِدوا علّةً عليهِ لِيُسَلِّموهُ للسُّلُطاتِ الرّومانيّةِ لتنفيذِ حُكْمِ الموتِ فيه»(٢٠).

فهذه هي حالُ الشَّعبُ الذي يريدُه الفيلسوفُ يُوحَنّا الإسكندري والمفسِّرونَ الرِّبِّيُّون لِخَلاصِ العالَمِ ومُبارَكَتِه. ويؤكِّدُ ما أعتقِدُه اعتقاداً جازماً مِنْ أنّ المسيحَ عليه السلام لمْ يكنْ يهوديّاً ما ذَكَرَتْهُ طبعةُ العهدِ الجديدِ بالخلفيّاتِ التوضيحيةِ مِنْ أنّ المسيحَ كثيراً ما كان يتكلّمُ كما لوْ أنّه لمْ يكنْ يهوديّاً(٢١).

ولكنْ أيضاً يُشْكَرُ لكاتبِ إنجيلِ يُوحَنّا أنّه لمْ يحرّفْ مكانَ القِبلةِ، وحافظَ على سلامةِ النّصِّ الدالِّ على نَسْخِ التوجُّهِ في العبادةِ إلى السّامِرَةِ وأورشليمَ معاً، وصرّحَ بذلك بحرْفِ النَّفْيِ لا مرتيْنِ كما يلي:

«قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ»؛ فإذا كانَ الخَلاصُ لا يأتي إلاّ مِنْ طريقِ اليهودِ، وبجِنْسِهِمْ تتبارَكُ كُلُّ الشُّعوبِ؛ فلا مَعْنى لتوبيخِهِمْ والدُّعاءِ عليهِم بالوَيْلِ، ونَسْخِ قِبْلَتَيْهِمْ، وخاصّةً أورشليمَ قبلةَ اليهودِ العِبرانيّينَ العنصريّينَ.

أمّا كوْنُ الكاتبِ جعلَ السّجودَ لله في المكانِ الجديدِ بلفْظِ الآبِ، فهذا ليوافقَ عقيدتَه البُولُسيّةَ التي أُشْرِبَ حُبَّها، وكَتبَ الإنجيلَ الرابعَ ابتداءً لإقرارِها، وهي أبُوّةُ اللهِ تعالى للمسيحِ، وبُنُوّةُ المسيحِ لله؛ إذْ قال في الإصحاح١: «[1]فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. [2]هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. [3]كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ».

بيْنما نَجِدُ أنّ بَرْنابا في نفْسِ الموضعِ صرّحَ بلفظِ الجلالةِ بالاسْمِ الظاهرِ: الله، ولمْ يقْرِنْهُ بأُبُوّةٍ ولا بُنُوّةٍ، فقالَ للمرأةِ: «ولكنْ صَدِّقِينِي إِنَهُ يَأْتِي وَقْتٌ يُعْطِي اللهُ ... ويَقْبَلُ اللهُ الصَّلاَةَ»، فاستعمالُ بَرْنابا اسْمَ الجلالةِ باللفْظِ الصريحِ: الله، هو الحقُّ والصوابُ، ولا يجوزُ ليُوحَنّا وغيْرِه العدولُ عن اللفظِ الصريحِ الظاهرِ؛ إلى الألفاظِ الغامضةِ التي لا تُفْهَمُ إلاّ بتأويلاتٍ بعيدةٍ، كلفْظِ الآبِ والابْنِ.

<u>الموضعُ الثاني:</u> حذْفُ كاتبِ إنجيلِ يُوحَنّا لَفْظَيْنِ من النَّصِّ، هما: مَدِينَةُ أُخْرَى، وكُلّ مَكَانٍ:

جاءَ في إنجيلِ بَرْنابا٨٢: «٨ ولكنْ صَدّقِيني إنَهُ يَأْتي وقْتٌ يُعْطي اللهُ فيه رَحْمَتَهُ في مَدِينَةٍ أُخْرَى ويُمْكِنُ السُّجُودُ لهُ في كُلِّ مَكانٍ بالْحَقِّ ويَقْبَلُ اللهُ الصَّلاةَ الحَقِيقِيّةَ في كُلِّ مَكانِ رَحْمَتِه».

فتضمّن النصُّ لفظيْن هما لفظ: «مدينةٍ أُخْرى»، ولفظ: «كلِّ مكانٍ»، وبما أنهما دالاّنِ بوضوحٍ شديدٍ على الدِّينِ الجديدِ النّاسخِ، وعلى نَقْلِ الرحمةِ إلى «مدينةٍ أُخْرى»، وهي مكةُ المكرّمة، وعلى صَلاةِ المسلمينَ الذين يَسْجُدونَ للهِ تعالى في «كلِّ مكانٍ»، دُونَ الالْتزامِ بالمسْجدِ المخصَّصِ؛ لذلكَ حذَفَهما كاتبُ إنجيلِ يُوحَنّا مِنْ جوابِ المسيح عليه السلام، وصارَ نصُّ إنجيلِ يُوحَنّا كما يلي: «[٢٣]وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ».

وبَعْدَ الحذْفِ اكتفَى الكاتبُ بالعبارةِ الأخيرةِ الغامضةِ وهي قولُه: «لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ»، ظانّاً أنها نافعةٌ له في صرْفِ البِشارةِ عن المرادِ بها، وهنا ظهرَ ما ذَكَرْتُه سابقاً مِنْ أنّ المحرِّفَ قدْ يغْفُلُ عنْ عبارةٍ تُظهِرُ تحريفَه، ويُفْهَمُ منْها ضدُّ مقصودِه، وهي هذهِ العبارةُ الأخيرةُ؛ إذْ إنّ هؤلاءِ السّاجدينَ المطلوبينَ للهِ تعالى همْ أُمّةُ محمدٍ ﷺ، فهُم المذكورونَ في سِفْرِ التثنيةِ بأنّ اللهَ تعالى سيغيظُ اليهودَ بأمّةٍ أُخْرى.

وكُتُبُ اليهودِ مليئةٌ بمثْلِ هذه النّصوصِ الدالّةِ على انْحرافِهمْ نحْوَ الوثنيّةِ وعبادةِ الآلهةِ الغريبةِ، وإليْها استندَ المسيحُ عليه السلام في توبيخِه لليهوديّةِ كلِّها والدُّعاءِ عليها بالويْلِ، فقدْ وردَ اللعْنُ على بَني إسرائيلَ الخارجينَ عنْ أحكامِ الشريعةِ الموسويّةِ في سِفْرِ التثْنيةِ فقط أكْثَر من ثلاثينَ مرّةً، ومنْها على سبيل المثال:

[أ] ما وردَ في سِفْرِ التثْنِيَةِ٢٧: «[٢٦]مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ

بِهَا».

[ب] ما وردَ في سِفْرِ التثْنِيَة٢٩: «[٢٤]وَيَقُولُ جَمِيعُ الأُمَمِ: لِمَاذَا فَعَلَ الرَّبُّ هكَذَا بِهذِهِ الأَرْضِ؟ لِمَاذَا حُمُوُّ هذَا الْغَضَبِ الْعَظِيمِ؟ [٢٥]فَيَقُولُونَ: لأَنَّهُمْ تَرَكُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِ آبَائِهِمِ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَهُمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، [٢٦]وَذَهَبُوا وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا. آلِهَةً لَمْ يَعْرِفُوهَا وَلاَ قُسِمَتْ لَهُمْ. [٢٧]فَاشْتَعَلَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ حَتَّى جَلَبَ عَلَيْهَا كُلَّ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هذَا السِّفْرِ. [٢٨]وَاسْتَأْصَلَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَرْضِهِمْ بِغَضَبٍ وَسَخَطٍ وَغَيْظٍ عَظِيمٍ، وَأَلْقَاهُمْ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ».

[ج] وما وردَ في سِفْرِ التثْنِيَة٣٢ منْ نسخةِ التوراةِ العبرانية: «[١٥]فَرَفَضَ الإِلهَ الَّذِي عَمِلَهُ [١٦]أَغَارُوهُ بِالأَجَانِبِ، وَأَغَاظُوهُ بِالأَرْجَاسِ. [١٧]ذَبَحُوا لأَوْثَانٍ لَيْسَتِ اللهَ. لآلِهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا [٢٠]إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلاَدٌ لاَ أَمَانَةَ فِيهِمْ. [٢١]هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ. [٣٧]يَقُولُ: أَيْنَ آلِهَتُهُمُ، الصَّخْرَةُ الَّتِي الْتَجَأُوا إِلَيْهَا، [٣٨]الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ شَحْمَ ذَبَائِحِهِمْ وَتَشْرَبُ خَمْرَ سَكَائِبِهِمْ؟ لِتَقُمْ وَتُسَاعِدْكُمْ وَتَكُنْ عَلَيْكُمْ حِمَايَةً! [٣٩]انْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي»[٢٢].

وجاءَ نصُّ الفقرة٢١ من الإصحاح٣٢ في الطبعةِ الرابعةِ للتوراةِ السبعينيةِ أكثرَ وضوحاً، وهو كما يلي: «[٢١]أَثَارُونِي بِمَنْ لا إِلهَ هوَ، وكَدَّرونِي بِأَصْنامِهِم البَاطلةِ. وأَنَا سأُثِيرُهُمْ بشَعْبٍ لا شَعْبٌ هوَ وأُكَدِّرُهُمْ بقوْمٍ جُهَلاءَ»[٢٣].

فظهرَ لنا جليّاً أنّ عبارةَ يُوحَنّا الأخيرةَ الغامضةَ: «لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ»؛ غيرُ نافعةٍ له في تحقيقِ مرادِه، بلْ أَثبتتْ عكْسَ مقْصودِهُ تماماً، فلا أُمَّةَ مطلوبةً للهِ تعالى بعْدَ ارْتدادِ بَني إسرائيلَ إلاّ أُمَّة محمدٍ ﷺ التي وردَ وَصْفُها

بالأُمّةِ الغبيّةِ: «[٢١]فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ» أوْ«وأَنَا سأُثِيرُهُمُ بشَعْبٍ لا شَعْبٌ هوَ وأُكَدِّرُهُمْ بقوْمٍ جُهَلاءَ».

والمقصودُ جَزْماً بالأمّةِ الغبيّةِ وبالقومِ الجُهلاء أُمّةُ العربِ بَنو إسماعيلَ عليه السلام؛ لأنّهم أُمّيّونَ، ولمْ تكُن الأممُ تحسبُ لهمْ حساباً كشَعْبٍ قويٍّ، ولسْنا مكلَّفينَ هنا بتبريرِ أخطاءِ الترجمةِ في لفْظِ العبارةِ، ولكنْ أقولُ: لعلّ العبارةَ كانتْ بلفظٍ أشدَّ وضوحاً وأكثرَ صراحةً في الأمّةِ العربيّةِ، فكَتَبَها المحرِّفونَ أو المترْجِمونَ بأهوائهم، ولكنْ هذه الأمّةُ الأُمّيّةُ هي التي قال الله تعالى فيها في سورة آل عمران: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴿١١٠﴾ ﴾.

وقد جاء معنى الآيةِ الكريمةِ في الإصحاح٢ من سِفْرِ هوشع، والنصُّ كما يلي: «[٢٣]وَأَزْرَعُهَا لِي فِي الأَرْضِ، وَأَرْحَمُ غَيْرَ الْمَرْحُومَةِ، وَأَقُولُ لِمَنْ لَيْسَ شَعْبِي: أَنْتَ شَعْبِي، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ إِلهِي»[٢٤].

وقد أخذَ بولُسُ هذا المعنى فكَتَبَه في رسالته إلى أهل روما٩ كما يلي: «[٢٥]كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا: سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي، وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً»، وجاءَ نصُّ هذه الفقرةِ في الترجمةِ العربيةِ المشتركةِ كما يلي: «[٢٥]وفي كِتَابِ هُوشَعَ أَنَّ اللهَ قالَ: الّذِي ما كَانَ شَعْبِي سَأَدْعُوهُ شَعْبِي، وَالَّتِي ما كَانَتْ مَحْبُوبَتِي سَأَدْعُوهَا مَحْبُوبَتِي»[٢٥].

وظاهرٌ جداً أنَّ المَدينةَ والأُمَّةَ المحبوبةَ المرحومةَ هنا هي مَكةُ المكرّمةُ وأُمّتُها العربيّةُ الإسلاميّةُ، وشَعْبَها العربيَّ المسْلِمَ هو الشعبُ المَحْبُوبُ المَرْحُومُ المَدْعُوُّ؛ لأنّ هذا الشَّعْبَ هو الذي رَفَضَ عِبادةَ الأوثانِ، وقال لله تعالى: «أَنْتَ إِلهِي»، وما زالَ إلى الآن يَعْبُدُ اللهَ تعالى ويُوَحِّدُه التوحيدَ الخالِصَ عنْ كُلِّ مظاهرِ الشِّرْكِ؛ فصارت النصوصُ السابقةُ مِنْ أسفارِ: التثنيةِ وهوشَعَ ورسالةِ روما كأنّها نَصٌّ في

هذه الأُمّةِ لا تتعدّاها، وقد فَهِمَ بُولُسُ أنّها مَكَّةُ وأُمَّتُها العربيّةُ، فحاولَ الإيهامَ بـأنّ الأُمّةَ الغبيّةَ المقصودةَ هنا والشَّعْبَ المَدْعُوَّ هي الأُمّةُ اليونانيّةُ وشُعوبُها؛ إذْ قال في رسالته إلى روما١٠: «[١٢]لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ. [١٩]لكِنِّي أَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ؟ أَوَّلاً مُوسَى يَقُولُ: أَنَا أُغِيرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُمْ. [٢٠]ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ: وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي. [٢١]أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ: طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ». وقد ردَّ الشيخُ رحمتُ اللهِ الهنديُّ على بُولُسَ في هذا الأمرِ، فقال: «والمرادُ بشعبٍ جاهلٍ: العربُ؛ لأنّهم كانوا في غايةِ الجهْلِ والضّلالِ، وما كانَ عنْدَهمْ علْمٌ لا منَ العُلومِ الشرعيّةِ ولا منَ العُلومِ العقليّةِ، وما كانوا يَعرفونَ سوى عبادةِ الأوثانِ والأصنامِ، وكانوا محقَّرينَ عنْدَ اليهودِ لكوْنِهمْ منْ أولادِ هاجرَ الجاريةِ، فمقصودُ الآيةِ: أنّ بَني إسرائيلَ أغاروني بعبادةِ المعبوداتِ الباطلةِ، فأُغيرُهُمْ باصْطفاءِ الذينَ هُمْ عنْدَهُمْ محقَّرونَ وجاهلونَ، فأَوْفَى بما وَعَدَ، فبَعَثَ منَ العربِ النّبيَّ ﷺ فهداهُمْ إلى الصراطِ المستقيمِ، كما قال اللهُ تعالى في سورة الجمعة: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢** ﴾، وليسَ المرادُ بالشَّعبِ الجاهلِ اليونانيّينَ كما يُفهَمُ منْ ظاهرِ كلامِ مقدَّسِهمْ بُولُسَ في البابِ العاشرِ منَ الرسالةِ الرومية؛ لأنّ اليونانيّينَ قبْلَ ظُهورِ عيسى عليه السلام بأزْيد منْ ثلاثمائةِ سنةٍ كانوا فائقينَ على أهلِ العالَمِ كلِّهمْ في العُلومِ والفنونِ، وكانَ جميعُ الحكماءِ المشهورينَ.... الذين كانوا أئمةَ الإلهيّاتِ والرياضيّاتِ والطبيعيّاتِ وفروعِها قبْلَ عيسى عليه السلام، وكان اليونانيّونَ في عهْدِه على غايةِ درجةِ الكمالِ في فنونِهمْ»[٢٦].

<u>الموضعُ الثالثُ:</u> حَذْفُ كاتبِ إنجيلِ يُوحَنّا أَوْصافاً توضِّحُ شَخْصِيّةَ المَسِيّا المُنْتَظَرِ وبَلْدَتَهُ:

اتفق كاتبا إنجيلَيْ بَرْنابا ويُوحَنّا على ذِكْرِ المَسِيّا، إلاّ أنّ برنابا ذَكَرَ أنّ المسيحَ عليه السلام نَفَى أنْ يكونَ هو المَسِيّا المُنْتَظَرَ، وصرّحَ عليه السلام بأنّ المَسِيّا سيأتي بعْدَه، ونصُّ عباراته ما يلي: «١٥ قالت المرْأَةُ: لَعَلَّكَ أَنْتَ مَسِيَّا أَيُّها السَّيِّدُ؟ ١٦ أَجَابَ يَسُوعُ: إنّي حَقّاً أُرْسِلْتُ إلى بَيْتِ إسرائيلَ نَبِيَّ خَلاَصٍ ١٧ وَلَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدِي مَسِيَّا المُرْسَلُ مِنَ اللهِ لِكُلِّ الْعَالَمِ».

بيْنما جَعلَ يوحنّا المسيحَ عيسى هو المقصودَ بالمَسِيّا المنتَظَرِ، وحذَفَ كلاماً كثيراً يتعلّقُ ببشارةِ المَسِيّا لدلالته الصريحة على شخصية محمدﷺ، وهو ما لا يريدُه الكاتبُ، ونصُّ عباراته ما يلي: «[٢٥]قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ [٢٦]قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ».

<u>فحرّفَ أوّلاً</u> في كلامِ المرْأةِ بإدخالِ عبارةٍ مزيدةٍ من عنده أملاها له هواهُ، وهي: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي»، فعبارةُ: «الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ» مزيدةٌ زيادةً قصْدِيّةً لتكونَ تفسيراً لشَخْصِيّةِ المَسِيّا القادمِ بالمسيحِ عيسى نفْسِه؛ ولحجْبِ هذه البشارةِ عن المرادِ الحقيقيِّ بها، وهو محمدٌﷺ.

<u>وحرّفَ ثانياً</u> في كلامِ المسيحِ عيسى عليه السلام إذْ كتبَ كلامَه بصيغةٍ تدلُّ على أنّه أَظْهرَ لها الموافقةَ التامّةَ على أنه هو فِعْلاً وحقّاً المسيحُ المنتظَرُ بقوله: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ»، ونصُّ هذه الفقرة في طبعة التفسير التطبيقي: «فأجابها: إنّي أَنَا هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكِ»[٢٧].

ونصُّها في طبعة الكاثوليك ما يلي: «٢٥قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: قدْ عَلِمْتُ أنّ ماشِيحَ الذي هوَ المسيحُ آتٍ فمَتَى جَاءَ ذَاكَ فهو يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ ٢٦فقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا المُتَكَلِّمَ مَعَكِ هُوَ»(٢٨). ثمّ إنّ يُوحَنّا لمْ يَكْتَفِ بإدْخالِ العباراتِ الصّارفةِ للبشارةِ عن محمدٍ ﷺ النّبيِّ الآتي بعدَ عيسى عليه السلام، بلْ حذفَ البشارتَيْنِ بمكّةَ وبيُوبِيلِ المسلمينَ السّنَوِيِّ، وحَرّفَ أقوالَ السّامِرِيّينَ الذين آمنوا بالمَسِيّا الآتي لخَلاصِ العالَمِ، وآمنوا بالمسيحِ عيسى الآتي نَبِيَّ خَلاصٍ للإسرائيليّينَ فقطْ، فرَفَعَ يوحنّا المسيحَ عيسى عليه السلام وجعَلَهُ نبيَّ خَلاصٍ للعالَم، وهذه الصفةُ العالَميّةُ لمْ يَرِدْ إطلاقُها في إنجيلِ بَرْنابا إلاّ على المَسِيّا الآتي بعد المسيح عليه السلام، والمسيحُ هو الذي وَصَفَ المَسِيّا المنتظَرَ الآتي بعدَه بأنّه نبيٌّ خلاصٍ للعالَم، ولنْ يَخْلُصَ أحدٌ دُونَ الإيمانِ به، وفيما يلي أسوق النصّيْن ليَظْهرَ الفرقُ الكبيرُ بيْنهما:

<u>نصُّ إنجيل برنابا:</u> «١٣ فَاعْلَمِي إذاً أَنّهُ بالإيمَانِ بِمَسِيَّا سَيَخْلُصُ كُلُّ مُخْتَارِي الله ١٤ إذاً وَجَبَ أنْ تَعْرِفِي مَجِيءَ مَسِيَّا ١٥ قالت المرْأةُ: لَعَلَّكَ أَنْتَ مَسِيَّا أيُّها السَّيِّدُ؟ ١٦ أَجَابَ يَسُوعُ: إنّي حَقّاً أُرْسِلْتُ إلى بَيْتِ إسرائيلَ نَبِيَّ خَلاَصٍ ١٧ ولَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدِي مَسِيَّا المُرْسَلُ مِنَ الله لِكُلِّ الْعَالَمِ الّذي لأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ الْعَالَمَ ١٨ حِينَئِذٍ يُسْجَدُ لله في كُلِّ العَالَمِ وتُنَالُ الرَّحْمَةُ حتّى أنَّ سَنَةَ اليُوبِيلِ التي تَجِيءُ الآنَ كُلَّ مِئَةِ سَنَةٍ سَيَجْعَلُها مَسِيَّا كُلَّ سَنَةٍ في كُلِّ مَكَانٍ ٢٠ فلمّا أَتَوْا إلى هناكَ توسّلُوا إلى يَسُوعَ أنْ يمكُثَ عندهُمْ ٢١ فدَخَلَ المدينةَ ومكثَ هناك يوميْنِ شافياً كُلَّ المَرْضَى ومُعَلِّماً ما يختصُّ بملَكُوتِ الله ٢٢ حينَئِذٍ قال أهلُ المدينةِ للمرأة: إنّنا أَكثَرُ إيماناً بكلامِه وآياتِه منّا بما قلتِ ٢٣ لأنّه قُدّوسُ الله حَقّاً ونبِيٌّ مرْسَلٌ لِخَلاصِ الذينَ يؤمِنُونَ بِه».

<u>نصُّ إنجيل يوحنّا:</u> «٢٢أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ ٣٩فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ

كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ: قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ [٤٠]فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ [٤١]فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ [٤٢]وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ».

فعبارةُ السّامريّينَ في وَصْفِ عيسى عليه السلام عندَ بَرْنابا كما يلي: «لأنّه قُدّوسُ الله حَقّاً ونبيٌّ مرْسَلٌ لِخَلاصِ الذينَ يؤمنُونَ بِه»، أيْ وصفوا المسيحَ عيسى عليه السلام بالنُّبُوّةِ والرّسالةِ التي فيها الخَلاصُ للإسرائيليّينَ المؤمنينَ به فقط.

وأمّا عبارتُهم في وَصْفِه عنْدَ يُوحَنّا فكما يلي: «لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ»، أيْ وصَفوه بعالَميَّةِ رسالةِ الخلاصِ، وبهذا يكونُ يُوحَنّا الإسكندريُّ قد تابَعَ أستاذَه المقدَّسَ عندَه بولُسَ الذي ادّعى لِنَفْسِه الرسالةَ العالميةَ، وصَرّحَ بذلكَ في معظمِ رسائلِه، ونَسَخَ خُصُوصيّةَ الرسالةِ العيسويةِ، وأضفى عليها صفةَ العالَميّةِ، وإنما دَوَّنَا ذلك أملاً منهما في السَّيْطَرَةِ على عالَميةِ الرّسالةِ الخاتمةِ قبْلَ ظُهُورِ صاحِبِها المبَشَّرِ به محمدٍ صلى الله عليه وسلم(٢٩).

والفَرْقُ في سياقِ كلامِ السّامريّينَ بيْنَ إنجيلَيْ بَرْنابا ويوحَنّا واضحٌ جداً؛ إنّه الفرْقُ تماماً بيْنَ النّفْيِ والإثباتِ، بل هو الفرْقُ بيْنَ الحَقِّ والباطلِ، وتحريرُ الكلامِ في هذا الفرْق ما يلي: إنّ مَسيّا بَرْنابا يأتي بعدَ المسيحِ عيسى عليه السلام، ويَخْلُصُ به مختارو الله، ورسالتُه عالَميةٌ، وبَلْدَتُه محْبوبةٌ، ويُوبيلُه سَنَوِيٌّ، وأُمّتُه كُلُّها مرحومةٌ، وهذه الأوْصافُ لا تنطبِقُ إلاّ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأصْحابِه رضي الله عنهم وأُمَّتِه.

وبما أنّ كاتبَ إنجيلِ يُوحَنّا اليهوديَّ العنصريَّ فهِمَ مَغْزى هذه الأوصافِ ومؤدّاها، ولا يريدُ خروجَها عنْ جهةِ اليهودِ الذين بِهِمْ خَلاصُ العالَمِ، لذلك كَتَبَ بالباطلِ ما كتبَ، وحرّفَ بالهوى كلامَ جمهورِ السّامريّينَ وكلامَ المرْأةِ ابْنتِهم وكلامَ المسيحِ عليه السلام، وحذَفَ من الكلامِ كُلَّ ما ناقضَ مقصودَه، واختَصَرَ حوارَهما الواقعَ في

إنجيلِ بَرْنابا بعَشْرِ فقراتٍ إلى فقرتيْنِ اثنتيْنِ فقطْ، وجعلَ خلاصَ العالَمِ كُلِّهِ بالمسيحِ عيسى عليه السلام، لإبعادِ البشارةِ المستقبَليّةِ بمحمدٍ ﷺ، إلى بشارةٍ حاضرةٍ حصَلتْ وتمّ وقوعُها، فكأنّ المسيح عليه السلام بشَّر بنفْسِه.

والعجبُ أنّ مفسِّري الكتابِ المقدّسِ إذا وصَلوا في تفسيرِهمْ إلى مثْلِ هذه الفقراتِ الناقضةِ لمعتقداتِهمْ أعرضوا عنها وتركوها دُونَ تفسيرٍ، أو فسّروها بكلامٍ عامٍّ لا يمسُّ جوهرَ الموضوعِ، وهمْ معذورونَ في ذلكَ إذْ حَيَّرَهمْ كاتبُ يوحَنّا، لأنه في الفقرة ٢٢ جعلَ الخَلاصَ منَ جهةِ اليهودِ، وفي الفقرة ٤٢ جعلَ الخلاصَ من جهةِ المسيحِ، فضَاعَ الخَلاصُ بيْنَ القاتلِ والمقتولِ، ولنْ يُنْقِذَهمْ منْ حَيْرَتِهمْ هذه إلاّ ردُّ الحقِّ إلى صاحبِه المقصودِ بهذه البشارةِ محمدٍ ﷺ.

<u>الموضعُ الرابعُ</u>: حَذْفُ يُوحَنّا الخاتمةَ الدالّةَ على وحدانيةِ اللهِ تعالى وعلى نُبُوّةِ محمّدٍ ﷺ ورسالتِه العالميّةِ:

انتهَتْ قِصّةُ المرْأةِ السّامِريّةِ معَ المسيحِ عليه السلام عنْدَ بَرْنابا بنهايةِ الفصْلِ٨٣، وهذه خاتمتُه: «٢٤ وَبَعْدَ صَلاةِ نِصْفِ اللَّيْلِ اقْتَرَبَ التّلاميذُ مِنْ يَسُوعَ ٢٥ فقالَ لهُمْ: سَتَكُونُ هذهِ اللَّيْلَةُ في زَمَنِ مَسِيَّا رَسُولِ اللهِ اليُوبيلَ السَّنَوِيَّ الذي يَجِيءُ الآنَ كُلَّ مِئَةِ سَنَةٍ ٢٦ لِذَلِكَ لاَ أُرِيدُ أَنْ نَنَامَ بَلْ نُصَلِّي مُحْنِينَ رَأْسَنَا مِئَةَ مَرّةٍ سَاجِدِينَ لإِلَهِنَا الْقَدِيرِ الرّحِيمِ المُبَارِكِ إلى الأَبَدِ ٢٧ فَلْنَقُلْ كُلَّ مَرّةٍ: أَعْتَرِفُ بِكَ إِلهَنَا الأَحَدَ الذي لَيْسَ لَكَ مِنْ بِدَايَةٍ ولا يَكُونُ لَكَ مِنْ نِهَايَةٍ ٢٨ لأَنّكَ بِرَحْمَتِكَ أَعْطَيْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِدَايَتَهَا وَسَتُعْطِي بِعَدْلِكَ الْكُلَّ نِهَايَةً ٢٩ لا شِبْهَ لَكَ بَيْنَ الْبَشَرِ ٣٠ لأَنّكَ بِجُودِكَ غَيْرِ الْمُتَنَاهِي لَسْتَ عُرْضَةً لِلْحَرَكَةِ ولا لِعَارِضٍ ٣١ ارْحَمْنَا لأَنّكَ خَلَقْتَنَا وَنَحْنُ عَمَلُ يَدِكَ».

فهذهِ الخاتمةُ أكّدَ فِيها المسيحُ عليه السلام على سَبيلِ الإيجَازِ البِشاراتِ السابقةَ بالمَسِيّا

القادمِ، وببَلْدَتِه وبالحَجِّ السَّنويِّ، وطَلَبَ عليه السلام مِنْ تلاميذِه قِيامَ تلكَ الليْلةِ بالصّلاةِ مِئَةَ رَكْعةٍ شُكْراً للهِ تعالى الذي هَدَاهُ إلى ليلةِ اليُوبيلِ الإسلاميِّ، ولَعَلّها ليلةُ عرَفَة أوْ ليلةُ عيدِ النَّحْرِ، وعلّمَهُمْ كلماتٍ يقولونها في صَلاتِهمْ، يَظْهرُ فيها تَمْجيدُ اللهِ تعالى بأَسْمائِه الحُسْنَى وصِفاتِه العُلْيا التي لا يُشارِكُه فيها أَحَدٌ، فهُوَ سبحانَه لا شِبْهَ لهُ بيْنَ البَشَرِ.

وهذه الأوصافُ للهِ تعالى كلُّها موافقةٌ للعقيدةِ الإسلاميّةِ الصحيحةِ القائمةِ على وَصْفِه سبحانه بصفاتِ الكمالِ الإلهيِّ، وتنْزيهِه عنْ صِفاتِ النقْصِ البَشَريِّ، استناداً لقولِه تعالى في سورة الشورى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾** ﴾، ولقولِه تعالى في سورة الحديد: ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾** ﴾.

فهذه الخاتمةُ للقصّةُ عند بَرْنابا، حَذَفَها كُلَّها يُوحَنّا مِنْ إنجيلِه، وهو مُضْطَرٌّ إلى حذفها لما يلي:

<u>أولاً:</u> لأنّ المسيحَ عليه السلام تكلّمَ فيها عن المَسيّا على صيغَةِ الاستقبالِ: «٢٥ فقالَ لهُمْ: سَتَكُونُ هذهِ الليْلةُ في زَمَنِ مَسيَّا رَسُولِ اللهِ»، وكاتبُ إنجيلِ يُوحَنّا لا يريدُ أنْ يكونَ محمدٌ ﷺ هو هذا المَسيّا، وإنما يريدُه المسيحَ نفسَه.

<u>ثانياً:</u> لأنّ المسيحَ عليه السلام بشّرَ بمَكّةَ المكرّمةِ ويوبيلِها السَّنَويِّ بالحجِّ الإسلاميِّ إليها على صيغَةِ الاستقبالِ أيضاً: «٢٥ فقالَ لهُمْ: سَتَكُونُ هذهِ الليْلةُ في زَمَنِ مَسيَّا رَسُولِ اللهِ اليُوبيلَ السَّنَويَّ»، وكاتبُ إنجيلِ يُوحَنّا لا يريدُه الحجَّ إلى مَكّةَ، وإنما

يريدُه الحجَّ إلى أورشليمَ التي وبّخَ المسيحُ عليه السلام أهلَها، ودعا عليهم بالويْلِ، وحلَّ عليْهِمْ سُخْطُ اللهِ وعقوبتُه كما مرّ.

ثالثاً: لأنّ المسيحَ عليه السلام طلبَ منْ تلاميذِه إحياءَ ليلةِ اليُوبيلِ الإسلاميِّ بالصّلاةِ مئةَ ركعةٍ، ونصَّ على السّجُودِ فيها، وهذا موافقٌ لأركانِ الصّلاةِ في الإسلام، «٢٥ فقالَ لهُمْ: سَتَكُونُ هذهِ اللّيْلَةُ في زَمَنِ مَسِيَّا رَسُولِ اللهِ اليُوبيلَ السَّنَوِيَّ الذي يَجِيءُ الآنَ كُلَّ مِئَةِ سَنَةٍ ٢٦ لِذَلِكَ لاَ أُرِيدُ أَنْ نَنَامَ بَلْ نُصَلِّي مُحْنِينَ رَأْسَنَا مِئَةَ مَرّةٍ سَاجِدِينَ لإِلَهِنَا الْقَدِيرِ الرّحِيمِ المُبَارِكِ إلى الأَبَدِ»، والحالُ أنّ شاولَ بُولُسَ أستاذَ يُوحَنّا قدْ نَسَخَ كلَّ أحكامِ الشريعةِ الموسويةِ وفرائضِها، بما فيها الصّلواتُ والطّهاراتُ، وشرَعَ لهمْ صلاةَ الوثنيّينَ لآلهتِهمْ بلا ركوعٍ ولا سجودٍ ولا طهارةٍ، فيكونُ يُوحَنّا المغْرَمُ ببُولُسَ مضْطرّاً أيضاً إلى حذْفِ الخاتمةِ التي تَنْقُضُ تعاليمَ أستاذِه ومقدَّسِه.

رابعاً: لأنّ المسيحَ عليه السلام نصّ في الخاتمةِ على الكلماتِ التي يجبُ أنْ تقالَ في الصلاةِ، وعلّمَها لتلاميذِه قائلاً: «٢٧ فَلْنَقُلْ كُلَّ مَرّةٍ: أَعْتَرِفُ بِكَ إِلهَنَا الأَحَدَ الذي لَيْسَ لَكَ مِنْ بِدَايَةٍ ولا يَكُونُ لَكَ مِنْ نِهَايَةٍ ٢٨ لأَنّكَ بِرَحْمَتِكَ أَعْطَيْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِدَايَتَهَا وَسَتُعْطِي بِعَدْلِكَ الْكُلَّ نِهَايَةً ٢٩ لا شِبْهَ لَكَ بَيْنَ الْبَشَرِ ٣٠ لأَنّكَ بِجُودِكَ غَيْرِ الْمُتَنَاهِي لَسْتَ عُرْضَةً لِلْحَرَكَةِ ولا لِعَارِضٍ ٣١ ارْحَمْنَا لأَنّكَ خَلَقْتَنَا وَنَحْنُ عَمَلُ يَدِكَ».

وهي تفيدُ أنّ اللهَ تعالى واحدٌ أَحَدٌ، لا بدايةَ له ولا نهايةَ، ولا شِبْهَ له بيْنَ البَشَرِ، ولا تَعْتريهِ العوارضُ والحوادثُ، وهذه التمجيداتُ الكماليّةُ لله سبحانه المنزّهةُ له عن النقائصِ؛ كلُّها لا تنطبقُ على البَشَرِ عيسى المسيحِ إلهِ يُوحَنّا، فيكونُ الكاتبُ أيضاً مضطرّاً إلى حَذْفِها لثلاثةِ أمورٍ كما يلي:

الأمرُ الأول: لأنَّ المَسِيحَ إلهَ يُوحَنّا بإجماعِ مؤلِّهيهِ أَحَدُ أركانِ الثالوثِ والأُقنومُ

الثاني منْ أَقانيمِه الثلاثةِ، فهو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، ومساوٍ لأبيه في الجوهرِ والذاتِ والقِدمِ والعملِ، وهو مولودٌ غيرُ مخلوقٍ، ويُشْبِهُ أباهُ منْ كلِّ وجْهٍ[٣٠].

وهذا الإلهُ الشّبيهُ بأبيهِ كانَ يمشِي على الأرضِ بشِبْهِ البَشَرِ، وبما أنّ نصَّ الخاتمةِ يُنَزِّهُ اللهَ عزَّ وجَلَّ فيقول: «لا شِبْهَ لكَ بيْنَ البَشَرِ»؛ وجدَ كاتبُ إنجيلِ يوحنّا نفْسَه ملزَماً بحذْفِها؛ كيْ لا ينْسفَ عقيدتَه التي ألّفَ إنجيلَه خصّيصاً لإثْباتِها.

الأمرُ الثاني: لأنَّ المَسيحَ إلهَ يُوحَنّا له بدايةٌ ونِهايةٌ؛ أمّا بدايتُه فولادتُه منْ أمّه مريم عليها السلام، والنصارى يَحتفلونَ بميلادِه في رأسِ كلِّ سنةٍ شمسيّةٍ، وأمّا نهايتُه فموْتُه على الصليبِ؛ لأنّه لَمّا صلَبَهُ اليهودُ على الخَشَبَةِ صرخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وأسْلَمَ الرّوحَ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»[٣١].

وبعدَ موْتِه دَفنُوهُ في القبْرِ، وطوائفُ النصارى إلى الآن غيْرُ متّفقينَ على تحديدِ تاريخِ ميلادِه وموْتِه، وقد ذَكَرَ كتّابُ القاموسِ في حديثِهِمْ عنْ تاريخِ ولادةِ المسيحِ وموْتِه على الصَّليبِ اختلافاتٍ كثيرةً لا يُفِيدُنا ذِكْرُها، ولكنْ ابتدَءوا الكلامَ بالعبارةِ التاليةِ: «ليْسَ مِنَ اليَسيرِ أنْ نصلَ إلى مَعْرِفَةِ تاريخِ ميلادِ المسيحِ أوْ مَعْمُودِيَّتِه أوْ صَلْبِه على وجْهِ التحقيقِ وبلا مُنازِعٍ»[٣٢].

وإذا كانَ الاختلافُ الشديدُ واقعاً في أهمِّ ثلاثةِ أحداثٍ في تاريخِ الإلهِ، وهي: ولادتُه وتعميدُه وصَلْبُه، فماذا يكون حالُ الأحداثِ الأخرى التي هي دُونَها!؟

ورُغْمَ هذا الاختلافِ فيها، فإنّ بولُسَ وتلميذَه يوحَنّا الإسكندريَّ يَدِينانِ بها ويعتقدانِ وقوعَها في ذاتِ الإلهِ، وبما أنّ نصَّ الخاتمةِ مصادمٌ لاعتقادِهما وناقضٌ له إذْ يقول عنِ اللهِ تعالى: «٢٧ فَلْنَقُلْ كُلَّ مَرّةٍ: أَعْتَرِفُ بِكَ إِلهَنَا الأَحَدَ الذي لَيْسَ لَكَ مِنْ بِدَايَةٍ ولا يَكُونُ لَكَ مِنْ نِهَايَةٍ»، فكانَ الأَنْسبَ لكاتبِ هذا الإنجيلِ الرابعِ حَذْفُها؛ عَمَلاً بأُسُسِ عقيدتِه الجامعةِ بيْنَ اللاهوتِ والناسُوتِ في شَخْصِ المسيحِ عليه السلام، أوْ قلْ: الجامعة بيْن الضدَّيْنِ: حياةِ الإلهِ وموْتِه.

الأمرُ الثالث: لأنَّ المَسيحَ إلهَ يُوحنّا تعتريه العوارضُ التي تعتري البشَرَ كالأكْلِ والشُّرْبِ والتعبِ والنّوْمِ والخوْفِ، والإلهُ الحقُّ مُنَزَّهٌ عن مثْلِ هذه الأمور، وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك في معرضِ ردِّه على المؤلِّهين، فقال تعالى في سورةِ المائدة: ﴿ **مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾** ﴾.

وبما أنّ نصَّ الخاتمةِ يُثْبِتُ بَشَرِيَّةَ المسيحِ عليه السلام ويُبْطِلُ إلهيّتَهُ، لذلكَ كانَ مُناسِباً جدّاً ليوحنّا حَذْفُ الخاتمةِ التي تنسفُ عقيدتَه البولُسيّةَ؛ إذْ كيف يُدَوِّنُ في إنجيلِه ما يَهْدِمُ الهدَفَ الأساسيَّ الذي أُلِّفَ الإنجيلُ ابتداءً لإقرارِه!؟

<u>الخاتمةُ وفيها نتائجُ البحثِ والتوصياتُ</u>

<u>أوّلاً: نتائجُ البحث:</u> بيّنتْ لنا دراسةُ حِوارِ المسيحِ عليه السلام مع المرأةِ السامريةِ في إنجيلِ بَرْنابا، أنّ نصوصَ هذا الحِوارِ تضمّنَتْ خمسَ دلالاتٍ أخلاقيةً ودَعويّةً وعقديّةً، وهي:

<u>الدلالة الأولى:</u> تواضعُ عيسى عليه السلام للمرأةِ السّامِريّةِ، وعدمُ احتقارِها، واستعمالُه في دعْوتِه أسلوبَ الترغيبِ والتشويقِ، وعَدَمُ تأثُّرِ المسيحِ عليه السلام بنظْرةِ اليهودِ العبرانيّينَ العنصريةِ لليهودِ السّامِريّينَ.

<u>الدلالة الثانية:</u> تصْرِيحُ المرأةِ السّامِريةِ أمامَ المسيحِ عيسى عليه السلام بِنُبُوّتِه، وسكوتُه إقرارٌ للمَسْكوتِ عنه؛ فدلّ ذلك على صِدْقِ نُبُوّتِه؛ ولو كان المسيحُ عليه السلام إلهاً أو ابناً للإله لَمَا جاز له السكوتُ عن البيانِ في أمسِّ مواضعِ الحاجةِ إليْه.

<u>الدلالة الثالثة:</u> السّامِريّونَ آمَنوا بعيسى المسيحِ عليه السلام وشَهِدُوا بِنُبُوّتِه، فهُمْ أَقْرَبُ للإيمانِ مِن العبرانيّينَ، وحَصادُ الأنبياءِ إيمانُ المَدْعُوِّين، ولا يكتمِلُ الإيمانُ إلاّ

باجتماعِ الفِطرةِ السّليمةِ معَ العقلِ السّليمِ، وقد ثبتتْ خصوصيّةُ رسالةِ المسيحِ عيسى عليه السلام إلى قومِه بني إسرائيلَ عامّةً، والسّامريّون منهم.

الدّلالةُ الرابعةُ: اغتنامُ الفرْصةِ للاستفسارِ عنْ أهَمِّ ما يشغلُ بالَ الإنسانِ منْ أُمورِ دِينِه، وقد اغتنمَتْ المرأةُ السّامريّةُ فُرْصَةَ لقائِها بالنبيِّ الموحَى إليه لإزالةِ حيْرتِها، فسألتْه عن المعبَدِ ومكانِ السّجود الحقيقيِّ المرْضيِّ للهِ تعالى، في أورشليمَ أمْ في شكيمَ؟ أين هي رحْمَةُ الله؟

والدّلالَةُ الخامسَةُ: المسيحُ عليه السلام يَشْهَدُ على اليهودِ بالنَّزْعةِ المادِّيَّةِ الجارفَةِ الصّارفَةِ لهمْ عن الدِّينِ، وشهادتُه تدُلُّ على استحالةِ اجْتماعِ المادِّيَّةِ الجارفةِ معَ العُبُوديَّةِ الكاملةِ للهِ تعالى في قَلْبٍ؛ إذْ هما ضدَّانِ حقيقيّانِ.

كما بيَّنتْ لنا الدراسةُ ثلاثَ بِشاراتٍ مسْتقْبَليّةً وردتْ أثناءَ حِوارِ المَسيحِ عليه السلام والمَرْأةِ السّامريّةِ، وهي:

البِشارةُ الأُولى: البِشارةُ بمكّةَ المكرّمةِ ومسجدِها الحرامِ والقِبْلةِ الجديدةِ، وبأُمّةِ محمدٍ ﷺ التي جُعِلتْ لها الأرضُ مَسْجِداً وطَهُوراً، والبِشارةُ بعالَميّةِ الدِّينِ الجديدِ المُبِيحِ للسُّجُودِ في كُلِّ مَكانٍ في العالَمِ.

البِشارةُ الثانيةُ: البِشارةُ بالْمَسيَّا المُنْتَظَرِ محمدٍ ﷺ، والمَسيحُ عليه السلام يُؤَكِّدُ وُجُوبَ مَعْرِفَةِ الْمَسيَّا، وأنّ الإيمانَ به هو طريقُ النّجاةِ، وقد كانَ أَطْوَلَ حِوارٍ دارَ بيْنَ المسيحِ عليه السلام والمرأةِ السّامريّةِ الحِوارُ حَوْلَ شَخْصيّةِ المَسيَّا المُنْتَظَرِ، وكان كلامُهُ كُلُّهُ بِصيغَةِ المستقْبَلِ إذْ قالَ: «سَيَأْتِي بَعْدِي»، وهي نفْسُ الصيغةِ الاستقباليّةِ في الكلمةِ الواردةِ في سورة الصف: ﴿ **وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ** ﴾.

البشارةُ الثالثةُ: بِشارةُ المسيحِ عيسى عليه السلام بموْسِمِ الحَجِّ إلى مَكَّةَ، وهو يُوبِيلُ المُسْلِمينَ السَّنَوِيُّ؛ إذْ إنّه صَرّحَ بأنَّ المَسِيّا المنتظَرَ يَجْعَلُ يُوبِيلَ أُمَّتِه سَنويّاً، والمقصودُ مَوْسِمُ الحَجِّ الذي يكُونُ في كُلِّ عامٍ مرّةً واحدةً.

وقد بيّنتْ لنا الدّراسَةُ المُقَارَنةُ بيْنَ إنْجِيلَيْ بَرْنابا ويُوحَنّا في نَصِّ حِوارِ المَسِيحِ عليه السلام والمَرْأَةِ السّامِرِيّةِ، نقطةَ اتّفاقٍ ونقطةَ اختلافٍ ونقاطاً محذوفةً، وهي كما يلي:

أمّا نقطةُ الاتفاقِ: فهي وصْفُ المرأةِ للمسيحِ عليه السلام بأنّه نَبِيٌّ وإنْسانٌ رَسُولٌ؛ فالكاتبان أَثْبَتَا نُبُوّةَ عيسى المسيحِ عليه السلام ورسالتَهُ، فصارتْ هذهِ العباراتُ في إنجيلِ يُوحَنّا، شاهدَ صِدْقٍ على بَشَرِيَّةِ عيسى، وبراءتِه مِنْ دَعْوَى الإلهيّةِ.

وأمّا نقطةُ الاختلافِ: فهي وصْفُ المرأةِ للمسيحِ عليه السلام بأنّه عبرانيٌّ أم يهوديٌّ، وأَثْبَتُّ أنّ العبارةَ التي أوْرَدَها إنجيلُ يُوحَنّا بأنّ المرأةَ قالتْ له: «وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ»، غلطٌ عقديٌّ خطيرٌ، وتُناقِضُ ما في إنجيلِ بَرْنابا أنها قالتْ: «وَأَنْتَ عِبْرانِيٌّ»؛ لأنّ المسيحَ عيسى عليه السلام عِبْرانيٌّ، ونبِيٌّ إسرائيليٌّ موحِّدٌ لله تعالى، على دينِ موسى عليه السلام وأجدادِه، ولمْ يكنْ يهودياً، فكان بَرْنابا أدقَّ لفظاً في هذا الموضعِ؛ لأنّ يُوحَنّا خَلَطَ بيْنَ الجِنْسِ والدِّينِ؛ إذْ جَعَلَ الدِّينَ اليهوديَّ المخترَعَ جِنْسِيّةً، وهذا أَكّدَ لي ما ذَكَرْتُه عن المحقِّقينَ القدامى مِنْ أنّ الإنجيلَ الرابعَ المسمّى إنجيل يُوحَنّا بَرِيءٌ مِنْ يُوحَنّا الحَوَارِيِّ، وأنّ كاتِبَهُ على مذْهبِ بُولُسَ لا يَعْرِفُ عيسى عليه السلام، ولمْ يلْتَقِ به.

وأمّا المواضعُ المحذوفةُ: فقد بيّنتْ لنا الدراسةُ أربعةَ مواضع حُذِفتْ مِنْ قِصّةِ الحِوارِ بروايةِ يُوحَنّا، وهي كما يلي:

الموضعُ الأوّلُ: حَذْفُ يُوحَنّا تَوْبِيخَ المسيحِ لِبِلادِ اليهُودِيّةِ وأهْلِها، ووصْفَهمْ بالنَّزعةِ المادّيّةِ.

الموضعُ الثاني: حذْفُ يُوحنّا لَفْظَيْن مِن النَّصِّ، هما: مَدِينَة أُخْرَى، وكُلّ مَكَانٍ؛ لدلالتِهما على مدينةِ مكةَ المكرّمةِ، وعلى صَلاةِ المسلمينَ الذين يَسْجُدونَ للهِ تعالى في كلِّ مكانٍ؛ وذلك لأنّ هؤلاءِ السّاجدينَ المطلوبينَ للهِ تعالى همْ أُمّةُ محمدٍ ﷺ، وهُم المذكورونَ في سِفْرِ التثنيةِ بأنّ اللهَ تعالى سيُغيظُ اليهودَ بهِمْ، ويجْعلُ النُّبُوَّةَ الخاتمةَ فيهِم، حيثُ إنّ اليهودَ يحتقرونَ فرْعَ إبراهيمَ العربيَّ كونهمْ أبناءَ الأَمَةِ هاجَرَ.

الموضعُ الثالثُ: حَذْفُ يُوحنّا أَوْصافاً توضِّحُ شَخْصِيّةَ المَسِيّا المُنْتَظَرِ وبلْدَتَهُ؛ إذْ إنّ أوْصافَه بأنه يأتي بعدَ المسيحِ عيسى عليه السلام، ويَخْلُصُ به مختارو اللهِ، ورسالتُه عالَميةٌ، ويُوبيلُه سَنَويٌّ، وأُمّتُه مرحومةٌ، وتَسْجُدُ للهِ تعالى في كلِّ مكانٍ؛ أوْصافٌ لا تنطبِقُ إلاّ على محمدٍ ﷺ وأصحابِه وأُمَّتِه وقبْلتِهم.

الموضعُ الرابعُ: حَذْفُ يُوحنّا الخاتمةَ الدالّةَ على وحدانيةِ اللهِ تعالى وعلى نُبُوّةِ محمّدٍ ﷺ ورسالتِه العالميّةِ.

فهذهِ الخاتمةُ أكّدَ فيها المسيحُ عليه السلام البِشاراتِ السابقةَ بالمَسِيّا وببلْدَتِه وبالحَجِّ السَّنويِّ على سَبيلِ الإيجَازِ، وطَلَبَ عليه السلام مِنْ تلاميذِه قِيامَ تلكَ الليْلةِ بالصّلاةِ مِئَةَ رَكْعةٍ شُكْراً للهِ تعالى الذي هَدَاهُ إلى ليلةِ اليُوبيلِ الإسلاميِّ، وعلّمَهُمْ كلماتٍ يقولونها في صَلاتِهمْ، وفيها يَظْهرُ تَمْجيدُ اللهِ تعالى بأَسْمائِه الحُسْنَى وصِفاتِه العُلْيا التي لا يُشارِكُه فيها أَحَدٌ، فهُوَ سبحانَه لا شبْهَ لهُ بيْنَ البَشَرِ، وكلُّها صِفاتٌ موافقةٌ للعقيدةِ الإسلاميّةِ الصحيحةِ القائمةِ على وَصْفِ اللهِ تعالى بصفاتِ الكمالِ، وتنْزِيهِه عنْ صِفاتِ النقْصِ.

ولمّا كانتْ خاتمةُ القصّةِ عند بَرْنابا، تفيدُ أنّ اللهَ تعالى واحدٌ أَحَدٌ، لا بدايةَ لـه ولا نهايةَ، ولا شبْهَ له بيْنَ البَشَرِ، ولا تعتريهِ العوارضُ والحوادثُ؛ حَذَفَها يُوحنّا مِنْ إنجيلِه؛ لأنها أوصافُ كمالٍ وتمجيداتٌ لا تنطبِقُ على إلهِ يُوحنّا عيسى المسيحِ

الذي ثبتَ كونُه إنساناً نَبيّاً وبَشَراً رسولاً؛ أيْ لَمّا صارَ نصُّ الخاتمةِ ناقضاً لعقيدةِ إلهيّةِ المسيحِ عليه السلام؛ حَذَفَها الكاتبُ حِفاظاً على عقيدتِه البولُسيّةِ التي أُشْرِبَ حُبَّها.

ثانياً: التوصيات:

* أُوصي الدعاةَ إلى اللهِ تعالى في جميعِ المواقعِ التي يتواجدون فيها بالتواضعِ للمَدْعُوِّينَ؛ لأنّ نظرةَ الاستعلاءِ والتكبّرِ تُنَفِّرُ المدعُوَّ مسْلِماً كان أوْ غيْرَ مسْلِمٍ، ذَكَراً وأُنثى، كبيراً وصغيراً، وأُوصيهِم أنْ لا يَغْفُلوا عن استعمالِ أُسلوبِ الترغيبِ والتشويقِ في دعوَتِهم، فكثيرٌ من النفوسِ يكون الوعْدُ والترغيبُ أَدعَى لاستجابتِها منَ الوعيدِ والتهديدِ، وهذه الوصيّةُ وإنْ كنتُ أخذتُها منْ أسلوبِ المسيحِ عيسى عليه السلام في معاملةِ المرأةِ السّامريّةِ، إلاّ أنّني أيضاً أُوصي بقراءةِ سيرةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، فهي مليئةٌ بالأمثلةِ والشواهد على تواضُعِه للمدْعُوِّينَ ورحمتِه بهمْ، ففيها ذَخيرةُ الدّعاة.

* أُوصي إخواني المسلمينَ عامّةً وطلَبَةَ العِلْمِ خاصّةً بعدمِ الخجلِ منْ سؤالِ أهلِ العلْمِ، فالابتعادُ عنْ أهْلِ العلْمِ أو الخجَلُ من السؤالِ أو الاستكبارُ عنه قدْ يوقِعُ أحدَهم في الخطأ المبْطِلِ للعملِ، وربّما وقعَ بعضُهم فريسَةً للفِرَقِ الضّالّةِ والأفكارِ الغاليةِ المتطرّفةِ، فعادى المسْلِمينَ، وكفّرَ الأحياءَ والميِّتينَ، وقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم رجالاً ونساءً لا يتحرّجون مِن سؤالِ النبيِّ ﷺ وأهلِ العِلْمِ منهم عنْ دِينِهم في شتّى أُمورِه الكبيرةِ والصغيرةِ، فرضِيَ اللهُ عنهم، وشَهِدَ لهم بالفوزِ والفلاحِ.

* أُوصي الدُّعاةَ والعلماءَ بمخاطبةِ الفِطرةِ والعقلِ معاً، إذْ إنّنا في هذا الزمانِ بأمسِّ الحاجةِ إلى إيقاظِ الفِطرةِ الدينيةِ وتغْذِيَتِها بمخْرَجاتِ العقلِ السليمِ، وتسْخيرِهما في الدّعْوَةِ إلى اللهِ بالحِكْمةِ والموْعِظَةِ الحَسَنَةِ والمُجادَلَةِ بالتي هيَ أَحْسَنُ، وبخاصّة بعدَما رأينا أنّ تطوّرَ العلومِ كلِّها يؤيّدُ صِحّةَ دِينِ الإسلامِ، ووَحْيَ القرآنِ الكريمِ، وصِدْقَ نُبُوّةِ محمدٍ ﷺ.

* أُوصِي جميعَ المهتمّينَ بدِينِهمْ وآخرتِهمْ بالبحثِ الصادقِ عنْ رحمةِ اللهِ وسُلُوكِ مسالكِها الصحيحةِ، وهِدايةِ الحَيارَى إليها، وعدمِ احتكارِها لأنفسِهمْ، فإنّ رحْمةَ اللهِ تعالى تسَعُ الكلَّ، ولسْنا موكَّلينَ بِقِسْمتِها.

* أُوصِي الدُّعاةَ والمُرَبِّينَ والمُدَرِّسينَ بالتخْفيفِ مِنْ سيْطرةِ النَّزْعةِ المادِّيَّةِ على حياةِ الناسِ، وذلكَ بالترْكِيزِ على التربيةِ الإيمانيةِ للأجْيالِ الناشئةِ، وتَوْجِيهِ النّاسِ إلى العُبُودِيَّةِ الحَقَّةِ للهِ تعالى، وهي العُبوديّةُ الجامعةُ بيْنَ الدِّينِ والدُّنيا، انطلاقاً مِنْ توجيهاتِ القرآنِ الكريمِ والسُّنّةِ النبويّةِ الشّريفةِ.

* أُوصِي الجهاتِ الدينيةَ بالانتباهِ إلى أَهميّةِ دَوْرِ المرْأةِ الدَّعَوِيّ في المجتمعِ، وإعدادِ ثُلّةٍ من الفتياتِ المتخصِّصاتِ بالدعوةِ إلى اللهِ، وعدمِ قَصْرِ الدَّعوةِ والدعاةِ على الرّجالِ، وقدْ كانَ النبِيُّ ﷺ مهتمّاً بدعوةِ النساءِ وتعليمِهنَّ، وإنّ غالبَ بيوتِ المسْلمينَ تضمُّ الجِنْسيْنِ معاً، وكِلاهما بحاجةٍ إلى الثَّقافَةِ الدينيّةِ المعتدِلةِ.

* أُوصِي الباحثينَ وطلبةَ العلْمِ بالتوجُّهِ إلى الدراساتِ المقارَنةِ للأديانِ مع التجرّدِ عن الهوى النّفْسِيِّ، فإنّ في المنْهَجِ المقارَنِ فوائدَ كثيرةً، وأبحاثاً نافعةً لخدْمةِ الناحيةِ العلْميةِ والدينيةِ ومناهِجِ الحِوارِ بيْنَ الأديانِ.

وصلّى اللهُ تعالى وسلَّمَ على النبِيِّ الأُمِّيِّ محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ لهمْ بإحسانٍ والحمد للهِ ربِّ العالمين.

الهوامش

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢١٨.

(٢) العهد القديم، الملوك الأول١٩/١٨، وهوشع ٤/٨-٦، وعاموس ١٤/٨.

(٣) عبدالملك، القاموس، ص٤٤٨-٤٤٩ و٤٦٣. المسيري، الموسوعة، ج٢، ص١١٩.

(٤) عبدالملك، القاموس، ص١٥١ و٢٥٨ و٤٥١ و٥١٥. المسيري، الموسوعة، ج٢، ص١١٩.

(٥) عبدالملك، القاموس، ص٥٥٨ و٨٥٩. المسيري، الموسوعة، ج٢، ص١٩٧. (٦) عبدالملك، القاموس، ص١٨١ و٢٢٢ و٤٥٨ و٦٢٨ و١٠٨٥.

(٧) الطبري، تفسير الطبري، ج٢، ص٥-٤٤ باختصار.

(٨) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب المساجد، أرقام الأحاديث: ٥٢٠-٥٢٧، ج١، ص٣٧٠-٣٧٥.

(٩) عبدالملك، القاموس، ص٨٩٠. المسيري، الموسوعة، ج٢، ص١٠٤ بتصرّف.

(١٠) المسيري، الموسوعة، ج٢، ص٢٥و١٠٤ بتصرّف.

(١١) جنيبير، المسيحية، ص١٠٨و١٠٩و١٦١. ملكاوي، شاول، ص١٢٠-١٣٥ باختصار.

(١٢) عبدالملك، القاموس، ص١١٠٤. سوسه، العرب واليهود، ص٨٨٦.

(١٣) عبدالملك، القاموس، ص١١٠٩.

(١٤) الهندي، إظهار الحق، ج١، ص١٥٤-١٥٧.

(١٥) ملكاوي، شاول، ص٨١ و٨٨.

(١٦) المسيري، الموسوعة، ج١، ص١٠٢. سوسه، العرب واليهود، ص٥٠١-٥٣٤ باختصار.

(١٧) عياش، الطائفة السامرية، ص١١ و٣١ باختصارٍ. العهد الجديد، هامش ص١١٠.

(١٨) بروس وكينيث، التفسير التطبيقي، ص٢١٤٨.

(١٩) بروس وكينيث، التفسير التطبيقي، ص٤١٣.

(٢٠) عبدالملك، القاموس، ص٨٦٨.

(٢١) العهد الجديد، هامش ص١١٠.

(٢٢) العهد القديم، ط١٨٦٥م، ص٣٣٢.

(٢٣) العهد القديم، ط١٩٩٥، ص٢٥٦.

(٢٤) العهد القديم، ط٢٠٠٤، ص١٣٦١.

(٢٥) العهد الجديد، ط١٩٩٣، ص٢٤١.

(٢٦) الهندي، إظهار الحق، ج٤، ص١١٣٢-١١٣٣.

(٢٧) بروس وكينيث، التفسير التطبيقي، ص٢١٨٤.

(٢٨) العهد الجديد، ط١٩٩٢، ص١٦١.

(٢٩) ملكاوي، شاول، ص٨٨.

(٣٠) ملكاوي، بشرية المسيح، نصّ قانون الإيمان ص١١٧.

(٣١) العهد الجديد، ط١٩٨٥، إنجيل متّى٤٦/٢٧، ص٥٣، وإنجيل مَرْقس٣٤/١٥، ص٨٧.

(٣٢) عبدالملك، القاموس، ص٨٦٣.

المراجع:

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٣٠٠هـ.

[٢] الكتاب المقدّس، العهد القديم. أسفار: الملوك الأول١٩/١٨، وهوشع ٤/٨-٦، وعاموس ١٤/٨.

[٣] عبدالملك، بطرس. قاموس الكتاب المقدّس، ط٢، بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧١م.

[٤] المسيري، عبدالوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط٤، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م.

[٥] الهندي، رحمت الله بن خليل. إظهار الحقّ، تحقيق محمد ملكاوي، ط١، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

[٦] ملكاوي، محمد عبدالقادر. بشرية المسيح ونبوة محمد في نصوص كتب العهدين، ط١، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

[٧] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تفسير الطبري، تعليق محمود شاكر، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

[٨] النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، ط١، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م.

[٩] جنيبير، شارل. المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبدالحليم محمود، بيروت: المكتبة العصرية.

[١٠] ملكاوي، محمد عبدالقادر. شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، ط١، الرياض: دار الإسراء، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

[١١] سوسه، أحمد. العرب واليهود في التاريخ، ط٥، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨١م.

[١٢] عياش، عدنان. الطائفة السامرية في نابلس، ط١، نابلس، الدار الوطنية، ٢٠٠٣م.

[١٣] الكتاب المقدّس، العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، ط٤، القاهرة: دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٧م.

[١٤] بروس بارتون وكينيث كانتزر وزملاؤهما. التفسير التطبيقي للكتابِ المقدَّس، القاهرة: ماستر ميديا، ٢٠٠٤م.

[١٥] الكتاب المقدّس، العهد القديم، نسخة التوراة العبرانية. دار الكتاب المقدّس في العالم العربي، بيروت: ١٨٦٥م.

[١٦] الكتاب المقدّس، العهد القديم، نسخة التوراة السبعينية اليونانية، الترجمة العربية المشتركة، ط٤، بيروت: دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط وجمعية الكتاب المقدّس في لبنان، ١٩٩٥م.

[١٧] الكتاب المقدّس، العهد الجديد، طبعة الكاثوليك، بيروت: دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٩٢م.

[١٨] برنابا. إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعاده، ط١، القاهرة: الناشر محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار، ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م

[١٩]] الكتاب المقدّس، العهد الجديد، طبعة البروتستانت، بيروت: دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٨٥م.

[٢٠] الكتاب المقدّس، العهد القديم ترجمة العالَم الجديد، طبعة شـــهود يَهْـــوَهْ، ط٤، نيويورك: منظمة شهود يَهْوَهْ، ٢٠٠٤م.

[٢١] الكتاب المقدّس، العهد الجديد، الترجمة العربية المشتركة، ط٣٠، بيروت: دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط وجمعية الكتاب المقدّس في لبنان، ١٩٩٣م.

الملخص

بيّن هذا البحثُ أنّ حِوارَ المسيحِ عيسى مع المرأةِ السامريةِ تضمّنَ دلالاتٍ أخلاقيةً ودَعويّةً وعقديّةً، أَبْرَزُها: تواضعُه للمرأةِ وعدمُ احتقارِها، واستعمالُه في دعْوتِه أسلوبَ الترغيبِ والتشويقِ، وأنّ المرأةَ صرّحتْ أمامَه بِنُبُوَّتِه فسكتَ؛ فدلّ سكوتُه على صِدْقِ نبُوّتِه، ثمّ صَرّحَ عيسى بِنُبُوّتِهِ وخُصُوصيّةِ رِسالتِه إلى بني إسرائيلَ فقَطْ، ودعتْ المرأةُ قوْمَها للإيمانِ به فآمَنَ السّامريّونَ وشَهِدُوا بِنُبُوّتِه، وقد شَهِدَ المسيحُ على اليهودِ بالنَّزْعةِ المادِّيَّةِ الشّديدةِ التي أَبْعَدَتْهُمْ عن الدّين، وتَضَمَّنَ الحِوارُ بشاراتٍ بمكّةَ المكرّمةِ وقِبْلتِها الجديدةِ، وبموْسِمِ الحجِّ السّنَويِّ إليها، وبعالَميّةِ الدِّينِ الجديدِ، وبالْمَسِيَّا المُنْتَظَرِ محمدﷺ وأَصْحابِه وأُمَّتِه، وقد أكّدَ المَسيحُ وُجُوبَ الإيمانِ بالْمَسِيَّا لأنه طريقُ النّجاةِ، وأَنْكرَ المسيحُ أنْ يكُونَ هو المَسِيّا المُرْسَلَ منَ اللهِ تعالى إلى العالَمِ كُلِّه، وقد تَكَلَّمَ عن المَسِيّا بصيغةِ المستقْبَلِ التي يُفْهَمُ منْها جَزْماً أنّهُ ليْسَ هو المَسِيّا، وأثبتتْ المقارَنةُ بيْن نَصَّيْ الحِوارِ في إنجيليْ بَرنابا ويُوحَنّا صِدْقَ البشاراتِ بمحمدﷺ ودِينِه، واتّفَقا على أنّ المرأةَ وصَفَتْ المسيحَ بأنّه نَبِيٌّ، وإنْسانٌ رَسُولٌ؛ فَكِلاهُما أَثْبَتَ بَشَرِيّةَ المسيحِ ونُبُوّتَهُ ورسالتَهُ، وبيّنَ بَرْنابا أنّ عيسى نبِيٌّ إسرائيليٌّ موحِّدٌ لله تعالى على دينِ موسى، وقد حذَفَ يُوحَنّا خاتمةَ قصّةِ الحِوارِ لِما فيها من العباراتِ الدالّةَ على وحدانيةِ اللهِ تعالى المناقضةِ للهدَفِ الأساسيِّ منْ تأليفِ إنجيلِه، وحَذَفَ أيضاً الأوصافَ الدّالّةَ على نُبُوّةِ محمّدٍﷺ ورسالتِه العالميّةِ، وعلى أنّه هو المَسِيّا المُبَشَّرُ به المُنْتَظَرُ.

المفاتيح: إنجيل برنابا ، إنجيل يوحنّا ، بشارات ، حِوار ، عقيدة ، عيسى ، المرأةِ السامريةِ

ملخص الإنكليزي

Abstract

Keywords: Barnaby's Bible, Johanna’s Bible, Prophecies, Dialogue texts, Advocacy, Issa. The Samaria woman

This research revealed that the dialogue of Prophet Issa (Messiah) with the Samaria woman includes the following ethical, missionary, and faith connotations: his humbleness with the woman, not humiliating her, and using attracting style in disseminating his mission. The woman declared her belief in Issa's prophecy and he stayed silent as a sign of agreement. Messiah announced his prophecy which was directed to Israelis. The Samaria became an advocate for his mission among her people whom all became believers. The dialogue has included certain prophecies, as the Holy Mecca to be the future qiblah, the universality of the coming religion (Islam), and the promised Messia (Prophet Mohammad, PBUH). Messiah affirmed the necessity to believe in Messia as a way of salvation and rescuer. Messiah, however, denied being the messenger to the world. The comparison between dialogue texts in Barnaby’s and Johanna’s Bible`s authenticate the truth of Prophet Mohammad’s religion. Moreover, both copies denote that the woman described Messiah

as a prophet, messenger and human being. However, Barnaby's copy indicated that Issa was an Israeli prophet and a monotheist. Conversely, Johanna’s copy deleted the concluding story of the dialogue, which includes statements confirming Allah`s oneness and all marks that proofs Mohammad’s prophecy and universality of his mission.

الفهرس

المقدمة ١٦١٧
المطلب الأول: الدلالات المستفادة من حوار المسيح والمرأة السامية ١٦١٩
المطلب الثاني: البشارات المستفادة من حوار المسيح والمرأة السامرية
حسب نص إنجيل برنابا ١٦٣٢
المطلب الثالث: المقارنة بين إنجيل برنابا ويوحنا في نص حوار المسيح
والمرأة السامرية..... ١٦٤٥
الخاتمة ١٦٦٨
التوصيات ١٦٧٢
الهوامش..... ١٦٧٤
المراجع ١٦٧٦
الملخص..... ١٦٧٩
الفهرس..... ١٦٨٢

* * *

فهرس الجزء الثاني

ثانيًا: قسم الحديث ٦٠٩-١٠٤٨

١- الإمام ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) وأثره في سنة البشير النذير

د / السَّيِّد أحمد مُحمد سُحْلُول ٦١١-٧٧٢

٢- حديث النعمان بن بشير في هبة الأولاد

د / نجلاء بنت حمد بن علي المبارك ٧٧٣-٨٤٤

٣- علَّامة القدس ومحدثها

د / قاسم علي سعد ٨٤٧-٩٠٨

٤- من أخلاق الإسلام في ضوء السنة النبوية

د / نجاة عبد التواب باتع ٩٠٩-١٠٠٠

٥- منتقى من مشيخة الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل

د/ عواد الخلف ١٠٠١-١٠٤٨

قسم الدعوة ١٠٤٩-١٦١٢

١- الدعوة إلى الله تعالى من خلال الشبكة الدولية (الإنترنت)

د / أحمد محمد أحمد الشرنوبي ١٠٥١-١٠٢٦

٢- دوام الصلاة والسلام على خير الأنام في كل مكان وآن

أ. د / عمر سراج أبو رزيزة ١٢٠٧-٢٠٥٩

٣- أساليب المستشرقين في طرح الشبهات بحق الإسلام وطرق مواجهتها

أ. د / مصطفى مراد صبحي ١٢٦١-١٣٤٨

٤- من أخلاقيات الإسلام في الاتصال بالجوال

د / عبد الحافظ أحمـــد طه ١٣٤٩-١٤٤٢

٥- الاستعاذة بين القراء والفقهاء
دراسة جامعة مقارنة بين المدرستين في ضوء الكتاب والسنة والآثار
د. علي ذريان فارس الجعفري العنزي..... ١٤٤٣-١٥٥٦
٦- بحث نظرية العقد الاجتماعي في ميزان الإسلام
د/ محروس محمد محروس بسيوني..... ١٥٥٧-١٦١٢
قسم العقيدة والفلسفة..... ١٦١٣-١٨٨٤
١- حوار المسيح عيسى مع المرأة السامرية دلالات وبشارات ومقارنات
د/ محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي ١٦١٥-١٦٨٢

* * *